

كيف تجد الله في الظلام؟

بقلم إيرين هوات

اهداءات ٢٠٠١
دار الثقافة
الهيئة الإنجيلية والقبطية

كيف تجد الله في الظلام؟

١٢ قصة

تبين عناية الله فى الظروف الصعبة

بقلم

إيرين هوات

ترجمة

ادوارد وديع عبد المسيح



دار الثقافة

Finding that God is in the Darkness

By Irene Howat

This book was published by Christian Focus Publications Ltd.
Geanies House, Fearn, Ross-shire,IV20 1TW,Scotland,
Great Britain.
Translated by permission and published in Arabic,1999

طبعة أولى

كيف تجد الله فى الظلام؟

صدر عن دار الثقافة - ص.ب ١٢٩٨- القاهرة

١٠/ ٨٠٦ ط١/١-١/ ٩٩
رقم الإيداع بدار الكتاب: ١٦٥٦٢/ ٩٩
I.S.B.N. 977 - 213 - 505 - 1
جمع وطبع بمطبعة سيويرس
تصميم الغلاف: إخلاص أسعد

الاهداء

إلى أهل كنائس
كامبل تون وتاربرت وايزلاى
الذين يخدمهم زوجى
انجوس

شكر

لقد كان لى الامتياز أن أعثر من بين أصدقائى ومعارفى على ١٥ شخصاً كانوا على استعداد لمشاركة اختباراتهم عن أمانة الله لوعده وأنه لم يتركهم أبداً . فكل واحد منهم قد مرَّ فى التجربة ، وجميعهم وجدوا الله صادقاً فى مواعيده . أهدى الشكر لجميعهم .

ايرين هوات

مقدمة الدار

يوجد اعتقاد خاطئ بأن الحياة تبتسم لبعض الناس بحيث لا يجتازون فى أى ضيقات أو مواقف صعبة .

ولكن هذا لا يحدث إطلاقاً ، فكل إنسان معرض لبعض المواقف الصعبة والمؤلمة والحرجة ، منها مثلاً موت الأحباء أو خسارة فى العمل ، أو طلاق الزوجين أو الاجتياز فى مرض يصعب شفاؤه .. الخ . ففى كل هذه الحالات وغيرها نجد يد الله تمتد بالشفقة لكل هؤلاء وتعطيهم التعزية والسلام الذى يجعلهم يواصلون الحياة .

وهذا الكتاب يقدم لنا اثنتى عشرة قصة اختبر فيها أصحابها نعمة الله ويده الرقيقة تمتد فى وسط الظلام واليأس والإحساس بالفشل .

ويسعد دار الثقافة أن تقدم هذا الكتاب فى اللغة العربية ، حيث يجد فيه القارئ الله الذى يتدخل فى الوقت المناسب مهما كانت التجربة قاسية واليأس يغمرنا ، ليحل مكانه الشفاء والسلام .

دار الثقافة

المحتويات

صفحة

مقدمة

أخذ يسوع الأعمى من بيت صيدا من يده واقتاده خارج المدينة (مر ٨ : ٢٢ - ٢٦) . اقتاده إلى خارج القرية ، بعيداً عن أصدقائه ،وعن الأصوات والروائح المألوفة لديه . اقتاده إلى منطقة كانت مجهولة ومخيفة للأعمى.وكل خطوة كانت تجعل الأعمى أكثر اعتماداً على ذلك الشخص الغريب .ولكن اليد الحانية القوية ليسوع فقط هى التى جعلته يواصل السير دون خوف.

أحياناً فى وسط المواقف المحيرة - فى الحزن والفراق والخوف والقلق والاكتئاب - يقود يسوع شعبه نحو آفاق مجهولة حيث يكونون معه وحده ، وحيث تؤدى عزلتهم فى وسط الألم ، والعذاب الذى يعتصر قلوبهم ، والدموع التى يسكبونها من مآقيهم إلى امتحان إيمانهم ، وحينئذ تنفتح عيونهم ليروا يسوع كما لم يروه من قبل .

قد نجتاز فى أوقات نكون محاطين فيها بالعائلة والأصدقاء ، ومع ذلك نشعر بالوحدة ، تلك الوحدة التى تلفنا فى الظلام بسبب القلب الكسير الذى يشعرنا بالاضطراب والاهتياج العظيم . ويعرف ذلك الشعور جيداً من اجتاز فى هذه الظروف ، كالأرملة حين يتركها المعزون والنائحون ليذهبوا إلى بيوتهم ، والمريض الذى يبيت ليلته انتظاراً لإجراء عملية جراحية فى اليوم التالى ، والوالد حين تأتيه مكالمة تليفونية فى ظلام الليل لتخبره عن وفاة ابن غالٍ فى أرض بعيدة ، ولكن كما يستخدم الفنان الظلال السوداء ليكمل الصورة ، هكذا فالرب فى تدبيره يستخدم ظلال الحياة ليرينا أشياء كنا نجهلها عن يسوع كالإله الذى يمد يده القوية ليصل للإنسان الخاطئ .ففى الظلام نسمع صوته بكل وضوح : « ها أنا معكم كل الأيام » (مت ٢٨ : ٢٠) .

ففى الظلال نقدّر الأشياء حق قدرها ، ونتخلّص من الأعباء التى لا لزوم لها والتى تعوق الحركة . لابد من استمرار عملية التعليم ، ولابد من تشكيل شخصياتنا من جديد . إن الإزميل

السماوى سوف يؤدى دوره ليعدنا للمجد . فى واحد من كتب جورج مكدونالد ، نقرأ عن امرأة ، هدَّها الحزن الشديد ، فصاحت بمرارة قائلة :« يا ليتنى ما صُنعت » ، فقالت لها صديقتها « يا عزيزتى ، أنت لم تُصنعى بعد ، إنك فى طور التصنيع ، وما يتم الآن ما هو إلا جزء من العملية التى يقوم بها الرب لذلك » .

« سرت ميلاً مع السرور

فأخذ يثرثر طوال الطريق

ولكنه لم يجعلنى أكثر حكمة

بالرغم من كل ما قاله لى

وسرت ميلاً مع الحزن

ولكنه لم يقل لى أى كلمة

ولكن يالقدر الأشياء التى تعلمتها

عندما سار الحزن معى »

فى هذا الكتاب ، جمعت إيرين هوات ، بطريقتها المألوفة الحساسة ، ١٢ اختباراً أميناً مؤثراً لأناس عاديين من رجال ونساء ساروا فى ظلال الحياة وشعروا بيد رجل الجليل القوية تشعرهم بالأمان وتشد من أزرهم .

إنى أوصى بقراءة هذا الكتاب حيث أنه يتعامل مع الحقائق .

كينى مكدونالد

يناير ١٩٩٨

تعريف بالأشخاص الذين مروا فى ظروف صعبة

بات كاردى Bat Cardy

تعيش بات كاردى وزوجها أندرو فى ايرلندا الشمالية . إنهما والدان وجدان . لقد اعتاد كل من بات وأندرو على « المتاعب » هناك . ولكنهما اجتازا فى وقت عصيب ربما لم يجربه أغلبنا . فى عام ١٩٨١ ، عندما كانت ابنتهما جنيفر فى التاسعة من عمرها ، تركت المنزل وركبت دراجتها لتذهب إلى بيت صديقتها لتلعب معها . ولكن جنيفر لم تعد للمنزل ثانية . وبعد أسبوع من اختفائها وجدوا جثتها . لقد قُتلت جنيفر . ولم يتم العثور على القاتل .

واكتشفت بات أن نعمة الله كافية لكل احتياج - حتى فى مواجهة قتل ابنتها .

اليزابيث ودونالد ماكاى Elizabeth and Donald Mackay

تعيش اليزابيث ودونالد فى أدنبرة وعندهما ثلاثة أبناء كبار . وبعد حياة حافلة قضتها فى مساعدة الآخرين والشد من أزرهم أصبحت اليزابيث فى أشد الحاجة لمن يقدم لها يد المساعدة . ودونالد الذى بدأ سنوات تقاعده بالعودة للدراسة ، وجد نفسه كالعائل الوحيد لها والمهتم بأمرها . فى سنة ١٩٩٠ تم تشخيص مرض اليزابيث بأنها تعانى من انهيار فى وظائف المخيخ . وهى الآن لا تستطيع الحركة سوى باستخدام كرسى متحرك ، وقد تدهورت قدرتها على السمع واللمس والحركة . إن قصتهما تنطوى على الضعف الشديد والنجاح العظيم أيضاً .

جون ميكلجون John Meiklejohn

جون مأمور سجن متقاعد . وقد استقر به المقام هو وزوجته فى ريف اسكتلندا فى منزل تحيط به حديقة تشغل جزءاً كبيراً من وقتهما.

وكان العيش فى منزل واحد لمدة طويلة شيئاً جديداً عليهما حيث كانت وظيفة جون تتطلب الكثير من الحركة والتنقل . وكانت هذه الحركة تخلق كثيراً من المشاكل . وكمأمور للسجن واجه جون العديد من المواقف المتنوعة ، بدءاً من تقديم الالتماسات لاجتماعات صلاة وحفلات التمثيل الصامت إلى تقديم يد المساعدة لترتيب بعض الزيارات الأخيرة لواحد من آخر الرجال الذين نُفّذ فيهم حكم الإعدام فى اسكتلندا . وقصة جون عن خدمته فى السجون قصة تملأنا بالحماس وتشيعه فى نفوسنا .

كاى ريد Kay Reid

كان لدى كاى ريد وزوجها أربعة أطفال وقد قاما بتربية أطفال آخرين . وعلى قدر معلومات كاى ، كان زواجها مثالياً . ولكن مما يثير الحزن ، فقد أساء زوج كاى للعلاقة الزوجية بخيانته ، وترك كاى ليعيش مع امرأة أخرى . وقد بلغ الأبناء سن المراهقة فى ذلك الوقت . وكان على كاى أن تتعامل مع الصدمة ، والغضب ، والجرح ، وهى تحاول أن تُبقى على العلاقة الزوجية . وفيما يبدو أنه عمل مستحيل ، لكنها بدأت تدبر شئون أسرتها ، وتربى أبناءها فى الإيمان . كانت الحياة قاسية ، ولكن كاى كانت تشعر بسرور كبير لرؤية الله وهو يتعامل مع أبنائها ويصفح عن خطاياهم بالرغم مما ألقته الحياة من عقبات فى طريقهم .

كينيث ستيفن Kenneth Steven

كان كينيث ستيفن كاتباً اسكتلندياً صغير السن ، ذا قدرات غير مشكوك فيها . وتشهد لذلك مئات القصائد والكتب العديدة التى نشرها . ولكن كسب لقمة العيش لم تكن بالعمل اليسير خاصة وأن الأمانة المسيحية كانت تقتضى من كينيث ان يرفض أن يسمح لنفسه بأن ينافس الكتّاب الآخرين وفقاً لشروطهم . إنه يكتب عن كل ما هو إنسانى وصحى وواقعى

ويرفض أن يتجاوب مع الكتابات المتحررة التى تنكر المبادئ الأخلاقية ، والتى كانت سائدة فى عصره . وهذا لم يجعله مشهوراً لدى الناشرين أو أمام الكتّاب الآخرين ، لكنه عرف أن هناك من يريد الكتابة النظيفة عندما اكتشف كينيث أن جريدة قومية طبعت له مقالاً عن هذا الموضوع .

لينا كوى Lena Cowie

لينا وزوجها أليكس ، يعيشان فى جلاسجو . ويعمل أليكس فى الخدمة المسيحية هناك . وكل أطفالهم متميزون ، ودافيد ابنهما يبلغ من العمر ثلاثة عشر عاماً . إن دافيد له مواهب متميزة ، كما يمتلك روح الدعابة والمرح وذاكرة تمكنه من عدم نسيان اسم أو وجه . ومع ذلك فدافيد عنده شلل مخى تسبب فى شلل رباعى . تصف لينا صراع ابنها منذ أيامه الأولى حتى الوقت الحالى . إن دافيد لا يستطيع المشى ولكنه يستطيع التنقل من مكان لآخر . لقد شاهد الطيور وهى تحلق بعيداً عن الصخور الأوركادية وأطعم الأبقار فى أحد الحقول فى ماجديل . إنه ولد شأنه شأن بقية الأولاد .

راشيل وكيت Rachel and Kate

إن راشيل وكيت أختان . عندما بلغ عمرهما ثلاث وخمس سنوات ، ترك أبوهما المنزل . إنهما فى سن المراهقة الآن ، ويتذكران كيف أن انفصال والديهما وطلاقهما فى النهاية قد أثر عليهما . وبعد أن وجدا أن خسارتهما لأبيهما أقرب ما يكون إلى الفراق ، كان على الأختين وهما صغيرتان أن يواجها مرض أمهما ثم موتها . إن انهيار زواج والديهما قد ترك ندوباً على حياتهما . ولكن بدلاً من الانخراط فى رثاء النفس ، فإن راشيل وكيت قد كبرتا لتصبحا امرأتين رحيمتين وعطوفتين ، تأملان فى أن يسهم اختبارهما فى مساعدة القراء لفهم أفضل للأطفال الذين فقدوا الأب لأى سبب من الأسباب .

فيرنون هايهام Vernon Higham

يعيش فيرنون وزوجته موروين فى كارديف وهما أبوان وجدّان . وفيرنون راعٍ لكنيسة

إنجيلية ، وهو واعظ مشهور على كلا جانبي الأطلسي ، ومنذ أكثر من عشرين سنة ، هاجمه مرض مفاجئ خطير ، وقد مرَّ وقت بدا فيه كما لو أن خدمته قد انتهت وأن حياته قصيرة . ولمدة ١٥ سنة بدت حياته وكأنها تدور حول التعامل مع حالة من الربو الحاد . كان التبشير نوعاً من التحدى ، وكانت أيام العطلات كالكابوس المزعج ، وبالرغم من القيود والعراقيل التى كانت تواجه فيرنون إلا أن الله بارك خدمتـــه كثيراً فى كارديف . وبعد أن واجه فيرنون ظروفاً صعبة جداً ، أعطاه الله الشفاء ، والآن فإنه وموروين يستمتعان بسنوات « إضافية جميلة » .

إسمة دنكان Esme Duncan

إسمة تعيش فى ابردين شير . وقد مضى جزء كبير من حياتها اعتبرت فيه العزلة شيئاً ثميناً ، فقد أتاحت لها أن تكفّ عن مهنة التدريس لتصبح من العاملات فى هيئة اتحاد الكتاب المقدس الذى أتاح لها فرصاً كثيرة للسفر والرحلات . مات والد إسمة عندما كانت طالبة ، وعندما ماتت أمها أصبحت الوحدة مشكلة بالنسبة لها . فأن تكون لوحدها فجأة ، كان يعنى الشعور بالوحدة . تأخذنا إسمة بأمانة شديدة لترينا الاختبارات التى اجتازت فيها : تطلعنا إسمة على أوقاتها العصيبة ، وترينا طريق الصعود الطويل الشاق ، واستقرارها النهائى عند نقطة ، كانت ترى فيها الوحدة مرة أخرى ، محصلة إيجابية . ونقابل أيضاً منجو (Mungo) زميلتها ورفيقتها الوفية .

جوناثان لامب Jonathan Lamb

جوناثان الذى نشأ فى لندن ، يعيش الآن مع زوجته ، مرجريت ، وأطفالهما الثلاثة فى أكسفورد . وهو يعمل كسكرتير إقليمى لأوروبا وللاتحاد السوفيتى السابق للرابطة الدولية للطلبة الإنجيليين . وحالياً فهو يعمل أيضاً رئيساً لمجمع Keswick. كان جوناثان يعانى من شلل الأطفال عندما كان طفلاً ، وقد حدَّ المرض من حركته إلى درجة ما . وفى حين كان يتحرك بصعوبة بالغة ، إلا أن سفر جوناثان بالطائرة لم يكن كذلك ! فعمله يتطلب السفر حوالى ٢٠ أسبوعاً كل عام . وقد كتب عدة كتب . إن جوناثان يقدم بعض الأفكار المشجعة عن التعامل مع المشكلات .

كاتى موريسون Katy Morrison

إن كاتى التى ماتت بعد وقت قصير من إكمال مساهمتها فى هذا الكتاب ، كانت إنجليزية ولكنها اتخذت الجنسية الاسكتلندية . وبعد أن درست فى كلية اللاهوت عملت فى مركز لإعادة تأهيل مدمنى المخدرات والمسكرات . وهناك قابلت كاتى الرجل الذى تزوجته . وقد واجهها مشكلات منذ البداية . فقد ارتكب زوجها ، الذى كان مدمناً وشفى من إدمانه ، مخالفة خطيرة ووضع فى السجـــن . تدربت كاتى من جديد ، ثم عملت ضابطة لاختبار الذين أقلعوا عن الإدمان ، وكانت تعتنى بأمها العجوز الكسيحة ، وكانت تسافر بانتظام مئات الأميال لزيارة زوجها . ثم ماتت عقب الجراحة التى أجريت لها بعد مرض فى القلب كانت تعانى منه وقد لازمها طوال حياتها .

جينى والاستير براون Geyny and Alastair Brown

يعيش جينى والاستير براون فى كنتور فى إبردين شير – للمرة الثانية . عندما أقاما هناك لأول مرة ، كان الاستير يعمل رساماً . ثم دعاه الله للخدمة ، وبعد الدراسة فى ابردبن ، انتقل مع زوجته وابنيه ، أندرو وكولين إلى « بالاتير » ، حيث أصبـح راعـياً لكنيـسة Glen-muick . وبعد رسامته بـ ١٦ شهراً ، أصيب بمرض فى العضلات نتيجة التهاب تزامن فى المخ والعمود الفقرى . وبعد ذلك بثلاث سـنوات ونصف ، كان لايزال فى الأربعينات من العمر ، استقال من الخدمة بسبب ضعف صحته . وأصبحت جينى هى التى تعمل للإنفاق على الأسرة ، ويستخدم الاستير طاقته المحدودة للعناية بالبيت .

*****

****

**

{ ١ }

بات كاردى

يقال إنه من بين أيامنا كلها على الأرض ، توجد أقل من ٥٠ يوماً ، نحتفظ بذكرياتها بوضوح ، وبالنسبة لمعظمنا ، نحتفظ بذكرى نصف ذلك العدد من الأيام ،كأول يوم فى المدرسة ، والاستيقاظ المخيف من النوم بعد حلم مزعج ، وأول مرة نلتقى فيها بشريك الحياة ، وموت شخص عزيز على قلوبنا ، ويوم التخرج ، ويوم الزفاف ، وتسلم مهام الوظيفة الجديدة ، ويوم عطلة متميز ، وميلاد أطفالنا - إنها ليست أياماً كثيرة العدد . ومن بين هذه الأيام التى أجد بعضها مضحكاً والبعض الآخر مخيفاً ، البعض حزيناً والبعض الآخر سعيداً جداً - وجميعها يمكن استرجاعها بسرعة وبوضوح - هناك يوم واحد لا يحتاج للتذكر بالنسبة لى . إنه يوم يختلف عن بقية الأيام .

كان يوم الثانى عشر من أغسطس سنة ١٩٨١ من بين الأيام المحفورة فى الذاكرة ، من بين أيام العطلة الصيفية التى تتسم بالهدوء . ولابد أنه كان يوماً لطيفاً كاليوم الذى سبقه ، وغالباً ، كاليوم الذى يليه . كان مارك فى الثالثة عشر من العمر ، فى المرحلة الثانوية ، وكان معتاداً أن يركب دراجته إلى بيت صديقه جون ليقضى فترة بعد الظهر مع أصدقائه . فى ذلك اليوم كانت هناك خطط جديدة فى طور الإعداد . كانت « جنيفر » سوف تركب دراجتها لتذهب لبيت صديقتها لتلعب . كانت لويز تسكن على بعد ميل واحد من المنزل . وكنت راضية عن ذلك .

كان الطريق إلى بيت صديقتها طريقاً ريفياً هادئاً ، حركة المرور فيه هادئة . وكان فيليب الذى يبلغ من العمر ستة أعوام فقط ، يتطلع بشوق إلى رحلة لحمام السباحة مع جون وأمه ، ألما جارتى .

إحساس منذر بالشر :

لماذا لم أستطع أن أتخلص من الإحساس ببرودة الاكتئاب الذى بدأ يحيط بى من جميع الاتجاهات ؟، وأحس زوجى ، أندرو ، بهذا الإحساس أيضاً . فى ألستر (Ulster) كنا فى وسط «الاضطرابات» ، لم يكن أحد يعرف من سيكون عليه الدور فى المرة القادمة - الجنود أم الشرطة أم بعض رجال الأعمال مؤخراً ، والجمهور دائماً . فى الأسبوع السابق فقط ، أكد لى أندرو ، فيما يتعلق بأعماله الخاصة ، إنه إذا حدث شئ له ، فقد أعد وثيقة تأمين مناسبة لنا جميعاً . وقد أبعدت هذه الأفكار المخيفة عنى بعيداً .

وهكذا حدث ، فقد أمضيت بعد الظهر وحدى مع أحدث عضو فى عائلتنا . لقد كانت فيكتوريا تبلغ ثمانية أشهر فقط ، وقد تمت ولادتها قبل عيد الميلاد بيومين فقط . كان هذا العيد رائعاً ، وكان معنا أربعة أطفال ، واحد منهم حديث الولادة . وذهبت أفكارى للسماء كما كانت تفعل فى معظم الأحيان « أشكرك ، ياأبى العزيز ، على هذه الطفلة . إنى لا أفهم هذا ، ولكنى أحبك لما فعلته » . لقد أعطانا الله ڤيكتوريا فى ظروف غير عادية تماماً ، فقد ولدت بعد أن أجريت عملية تعقيم بـ ١٥ شهراً ! فحتى هذا الإجراء لم يكن فى متناول أيدينا .« الله طريقه كامل » (٢ صم ٢٢ : ٣١) . كنت أنظر لهذه الطفلة الصغيرة وأتساءل عن السبب الذى جعل الله فى سلطانه أن يعطينا إياها بهذه الطريقة . واليوم ، عندما أنظر إلى الوراء ، لماذا أندهش ؟ ألم يثبت أن فيه الكفاية عند كل منعطف منذ أن تجددت ؟ الآن أعرف بطريقة واضحة المعنى الحقيقى للمحبة الأبدية . فالله يحبنا اليوم ، ولأنه يحبنا بالمثل فى الغد ، فهو يتعامل مع كل يوم من أيام حياتنا لتدبير احتياجاتنا لكل يوم من أيام الغد .

لقد كنت أبلغ العشرين من العمر فقط ، ومتزوجة وعندى ابن ، عندما خطا الله إلى الداخل من خلال الباب الذى فتحته فى قلبى ، بهذه الكلمات التى كانت تعنى الكثير بالنسبة لى على مر الأعوام : « هنذا واقف على الباب وأقرع ، إن سمع أحد صوتى وفتح الباب ، أدخل إليه ، وأتعشى معه وهو معى » (رؤ ٣ : ٢٠) . لقد أرانى الله ، من ناحية جلاله ومجده ، ومن الناحية الأخرى محبته العظيمة فى أنه لم يمت فقط لأجلى ، بل بوعده الجاد بأن يكرس نفسه لى فى جميع الظروف ، وأن يشاركنى فى كل شئ وأنا كذلك « أتعشى معه وهو معى » .

بداية الحلم المخيف :

شهدت تلك الأمسية انهيار عالمنا السعيد . عندما لم تعد جنيفر للمنزل فى وقتها المعتاد فى الساعة الرابعة والنصف بعد الظهر ، انتابنى إحساس غامض بأن مكروهاً قد وقع ، وعندما رجع أندرو للمنزل ، انتظرت بفارغ الصبر حتى تناول عشاءه ، وأصلح إطار سيارتى . ثم أكد لى قائلاً : « يابات ، لقد استمتعت بيومها وفى الأغلب فهى تتناول الشاى » ، ولكننى كنت أعلم أنها ما كانت لتفعل ذلك قبل أن تتصل بى لتعلمنى بذلك . بعد أن تركت أندرو مع الأطفال ، سرعان ما اكتشفت أنها لم تصل أبداً لبيت صديقتها ، ولم يرها أحد . حاولت تغطية الخوف المتزايد بأنها لابد أن تكون موجودة فى مكان ما ، وأننا سوف نعثر عليها بسرعة . وصلت الساعة الآن السادسة والنصف ... أين يمكن أن تكون ؟ فتش أندرو وسلى صديقنا وجارنا المنطقة . وإذ كنت جالسة خارج المنزل تحت شجرة فى الحديقة وأنا أحمل فيكتوريا لم أستطع أن أصلى بكلمات منطوقة . فلكى أصيغ مخاوفى اليائسة فى كلمات مسموعة ، كان علىَّ أن أعترف بطريقة ما ، بحلم مخيف لم يكن يحدث بالتأكيد . ولكنه كان يحدث - وصليت - كانت صلوات مختنقة العبرات لا أتذكرها .

كانت جنيفر طفلة تتسم بالمرح والذكاء تبلغ التاسعة من العمر وهى مصدر فرح لكل من حولها ، كانت طفلة جميلة ، مليئة بالمرح ، ذات طبيعة جذابة ، وكانت تبدد كل اكتئاب تصادفه سريعاً ! كانت قد وُلدت بعد أن فقدنا ولداً مات لحظة الولادة بعام ونصف . وأتذكر جيداً ، أنه استجابة فى ذهنى واعتبرتها أنا استجابة لصلاتى لكى تصل جنيفر سالمة ، فقد أعطانى الرب وعده الثمين أن هناك آية لصقت « بارك أبناءك داخلك » (مز ١٤٧ : ١٣). لأنه هكذا أثبتت أنها مباركة وبركة . وإذ تجددت عندما كانت تبلغ السادسة من عمرها فقط ، علمت بعد ذلك أنها ذهبت إلى المدرسة وهى تقول : « لقد خلصت ، وأنا ذاهبة إلى السماء » ، كانت تحب أن تسمع عن السماء ، وكانت تقضى وقتاً هادئاً مع ربها حتى اللحظة التى رحلت فيها .

تم استدعاء البوليس ، وسرعان ما اتضح أنه لم يتبق لدينا الكثير لنفعله . قبل منتصف الليل بقليل ، وجدت دراجتها على بعد نصف ميل من بيتنا . كانت موضوعة فوق سور فى حقل . ولم أستطع أنا وأندرو سوى أن نرتمى كل فى أحضان الآخر ونبكى .

في تلك اللحظة أدركت قوة لم أكن أمتلكها ، وأن الله الذى فى السماء كان لايزال إلهى ، وأنه لايزال مهيمناً على كل شئ ، بالرغم من كل الظروف . هذا السلام « الذى يفوق كل عقل » كان متحكماً فى عواطفى التى أصابها الشلل عندما بحثت عنه لأحتمى فيه ، ليس فقط لأجل نفسى وعائلتى الصغيرة ، ولكن بنوع خاص لأجل زوجى الذى لم يكن قد تجدد بعد .

الظلام من الخارج والداخل :

فى الليلة الأولى لم ننم على الإطـلاق ، وفى الليلة الثانية نمنا نوماً متقطعاً من كثرة الإجهاد . وفى الليلة التالية ، كنت متيقظة لوحدى ، فى ساعات الظلام . كان البيت مظلماً ، وكان أكثر ظلاماً فى الخارج ، عندما كنت أطل من شباك المطبخ وعيناى مغرورقتان بالدموع . نظرت إلى خط الأفق الملئ بالأشجار فى يأس بالغ وأنا أطلب الله الذى لم يتخل عنى ولكن لم أكن أعرف هذا الإله بعد ! « يا ألله ، لماذا لا تخبرنى أين هى ؟ أنت الوحيد الذى تستطيع أن تقدم لى يد المساعدة . أتذكر أنه فى تلك الليلة كنت أخشى على نفسى من الجنون . هل لن نجدها مرة أخرى ؟ هل هى حية أم ميتة ؟ وأين الله ؟ هل تركنى أيضاً ؟ .

وحيث إنى مصابة بمرض السكر ، فقد زارنى الطبيب فى اليوم التالى ، وبسبب صدمة الليلة السابقة ، ترك لى أقراصاً منومة . فى تلك الليلة ، بعد يوم قلق آخر ، وموجع للقلب ، ودون ورود أى تقارير إيجابية من أى من فرق البحث ، ذهبت إلى الفراش بعد أخذ الأقراص المنومة معى . ما الذى يخبئه المستقبل ؟ ربما كانت هذه هى بداية الاعتماد على هذه الأقراص ! كنت كل يوم أستمد القوة من « ضوء النهار » Daily light ، وهو كتيب يحوى أعداداً مختارة من الكتاب المقدس ، ويعلّم أن نثق بالله لأنه هو الله « هـوذا الله خلاصـى فأطمئن ولا أرتعب » (إش ١٢:٢) . نظرت إلى الأقراص المنومة وأحسست بالهوان مما جعلنى ألتجئ إلى الله وأطلب عونه وحده . وبعد بضع دقائق ، رنت فى قلبى كلمات المزمور التى تقول : « باطل هو لكم أن تبكروا إلى القيام مؤخرين الجلوس آكلين خبز الأتعاب . لكنه يعطى حبيبه نوماً » (مز ١٢٧:٢). وبينما أتفكر فى هذه الكلمات ، ومحبة أبى السماوى ، طبّقت هذه الكلمات على نفسى ونمت بسلام ، ليس فى تلك الليلة فقط بل فى كل ليلة تالية حتى هذا اليوم . أليس الله

هو الذى يضع إصبعه على احتياجنا ويعلّمنا أن نثق فيه حين تكون الثقة هى أصعب شئ يمكننا أن نفعله ! لقد كان يرينى حقيقة ما كنت أعرفه بالفعل « أصعدنى من جب الهلاك من طين الحمأة وأقام على صخرة رجلىَّ » (مز ٤٠ : ٢) .

وفى كل ليلة منذ اختفاء جنيفر ، تقام فى بيتنا خدمة قصيرة يلقى فيها خطاب لجميع الذين تجمعوا لشد أزرنا ولأولئك الذين كانوا قد انضموا لفرق البحث فى ذلك اليوم . كان ذلك يعنى الكثير لكل من أندرو ولى .

لم تكن سوى عطية من الله :

فى يوم الثلاثاء التالى ، بعد أن افتقدناها لمدة أسبوع كامل ، وجدت جثة جنيفر على يد اثنين من الصيادين . لقد قُتلت - خُنقت وأغرقت فى سد على بعد ١٣ ميلاً من بيتنا . تخوننى الكلمات التى يمكن أن أعبر بها ، حتى بعد كل هذه السنوات ، عن الرعب المخيف لتلك اللحظات الرهيبة التى علمت فيها بضياع كل رجاء . وإنى لشاكرة لأن ذاكرتى لا تختزن صورة واضحة لتلك الليلة . فى تلك الليلة قال أندرو هذه الكلمات :

« يابات ، لقد رحلت . إنها لم تكن سوى عطية بين أيدينا وقد استردها الله ، لكم أحببناها » .

كانت الأيام القليلة التالية مفعمة بالأحداث . كان على أندرو أن يتعرف على الجثة ، ويتم إجراء تشريح الجثة ، وتتم إجراءات الدفن . ولكننى كنت أخشى الجنازة نفسها . فقد كانت هذه أول مرة أراها فيها وهم يحضرونها للبيت منذ اليوم الذى تركته فيه وهى فى منتهى السعادة . تمت الجنازة فى حديقة منزلنا ، فى أحد الأمسيات الدافئة من شهر أغسطس . وكان قدوم عدد كبير من الأقارب والأصدقاء والجيران والغرباء أيضاً ، للمواساة وتقديم العون ، يعنى الكثير بالنسبة لنا . ولكن ، خوفى الأكبر ، كان يتركز فى وضع عينى على حقيقة الموت - التابوت الذى وضعت فيه . وبناء على النصيحة ، وعلى طلبنا الخاص ، تم إحكام غلق التابوت.أعتقد أن كل شئ فينا كان يتراجع فى ذلك الوقت ويشيع اليأس فى نفوسنا .فالموت شئ دخيل ، وحتى يسوع نفسه « انزعج بالروح واضطرب » ، وبكى فى مواجهة الموت (يو ١١ : ٣٣) .

خوفي .. أمانة الله :

في ذلك الصباح ، الملئ بالقادمين والذاهبين ، اختليت بنفسي في الحمّام ، فقد اكتشفت أن ذلك المكان هو أكثر الأماكن التي يمكن أن نصلي فيها دون مقاطعة ، صليت قائلة « يا أبي العزيز ، إني أعلم تماماً أنك سوف ترفعني لأنك الوحيد الذي يمكنه أن يفعل ذلك ، ولكني بحاجة إليك أكثر من أي وقت مضى . إني خائفة » . لم أسمع صوتاً مسموعاً ، ولكن جاءتني هذه الكلمات بهدوء « اذهبي وانظري في كتابك المقدس . انظري حيث كنت تقرأين لآخر مرة » . كنت حتى ذلك الوقت لا أستطيع قراءة كتابي المقدس ، حيث كنت لا أستطيع التركيز . كنت أحصل على كل ما أحتاجه من الـ Daily Light ، فلما صعدت مسرعة للطابق العلوي ، قرأت هذه الكلمات الرائعة : « لأن خفة ضيقتنا الوقتية تنشئ لنا أكثر فأكثر ثقل مجد أبدياً . ونحن غير ناظرين إلى الأشياء التي ترى بل إلى التي لا ترى . لأن التي ترى وقتية وأما التي لا ترى فأبدية » (٢ كو ٤ : ١٧ - ١٨) .

نقشت هذه الكلمات على قلبي حيث حفرت لنفسها مكاناً فيه باعتبارها كلمة الله التي تستطيع وحدها أن تفعل ذلك . لم أكن لأفكر في الأشياء التي ترى بل في الأشياء التي لا ترى . وبالرغم من أني كنت على علم بأن جنيفر كانت في السماء ، إلا أن الرب أعطاني بصيرة فيما يتعلق بالأشياء الأبدية ، فهي الأشياء الحقيقية ، وليست ما نراه بعيوننا . خلال ذلك الوقت المفزع كنت أعلم أن جنيفر كانت تماماً كما كانت من قبل دائماً : محبة وعطوفة وبريئة وسعيدة ، وفي حضرة الرب المسرة . كنت على إدراك أيضاً بالملائكة الذين يحيطون بنا أثناء دخولنا إلى السماء ، والذين وإن كنا لا نراهم ، إلا أنهم في رفقتنا دائماً كنت أشعر باقتراب السماء ، ولهذا السبب ، شكرت أبي المحب . شكرته أيضاً لصبر وتحمل أندرو وولدينا الصغيرين .

لماذا يدعو الله شدائدنا : كأحزاننا وهمومنا وأتراحنا وقلقنا خفة ضيقتنا ؟ إنها يمكن أن تكون أي شئ إلا أن تكون خفيفة بالنسبة لنا ، لأننا نشعر بثقلها يسحقنا . والله أبونا يعتبرها كالجرامات البسيطة ، مقارنة بالثقل الأبدي من البركات « والمجد الأبدي الذي لا تقاس بالنسبة له » (٢ كو ٤ : ١٧) . وهذه الضيقات ذات فائدة عظمى بالنسبة لنا ، حين نثبت أعيننا إلى الأمام كما فعل يسوع الذي « من أجل السرور الموضوع أمامه احتمل الصليب » (عب١٢: ٢).

يسوع يقترب :

ولكن في اليوم التالي لم يحدث هكذا . فعندما وجدت نفسي وحيدة ، حاولت أن أشغل وقتي بترتيب المنزل . ولكن ذلك لم يأت بنتيجة . حاولت ألا أستسلم للدموع ، وأبعدت كل الأشياء التي كانت تخص جنيفر بعيداً . وأخيراً وفي الحمام ، ومع وجود المتعلقات الشخصية بجنيفر ، صدمتني حقيقة الموت الرهيبة . وما أن انهمرت الدموع من عيني حتى لم تكن لي قدرة على منع النحيب العنيف الخانق . لن أراها ثانية ، وتمنيت الموت لنفسي أيضاً .

لا توجد مواقف لا يستطيع الله أن يعزي فيها ، فاسم الله هو « إله كل تعزية » (٢كو١:٣) هو اسم جدير بالاعتبار . ومن خلال دموعي ، دعوت اسمه طلباً للعون ... ولكنني اعتقدت أنه حتى الله لا يستطيع أن يعزيني وقتئذ « يا أبي العزيز ، أرجوك ساعدني . أنا أعلم أنك لن تعيدها لي . فدعني أموت أنا أيضاً حتى أستطيع الذهاب إليها » ، ثم انساب سيل آخر من الدموع المرة وأنا أمسك بكتاب الـ Daily Light ولم أستطع أن أقرأ شيئاً . لم يكن أحد يستطيع أن يمسح دموعي أو يوقفها . حاولت أن أقرأ مرتين ... ولكني لم أستطع . وفي المرة الثالثة قرأت هذه الكلمات بوضوح أكثر « وسيمسح الله كل دمعة من عيونهم . والموت لا يكون في ما بعد ولا يكون حزن ولا صراخ .. لأن الأمور الأولى قد مضت » (رؤ ٢١ : ٤). كانت الصفحة كلها على هذا الموضوع ، وكانت تنتهي بالكلمات القائلة « الأشياء التي لا ترى فهي أبدية » (٢كو ٤ : ١٨) . وأنا أفكر في هذه الكلمات الرائعة ، فحتى وإن كانت الأبدية تبدو بعيدة جداً ، إلا أنني كنت مدركة لحضور الرب يسوع ، كشخص عزيز عليَّ وقريب جداً مني ، وكشخص يبكي معي . تعلمت كيف أن مخلصنا يتأثر بضعفاتنا ، ولذلك فهو قادر بطريقة عجيبة على التعزية والتقوية « في كل ضيقهم تضايق » (إش ٦٣:٩) .

سرعان ما عاد مارك وفيليب من المدرسة . وبدأ فيليب يذهب إلى مدرسة جديدة ، كانت جنيفر من المفروض أن تذهب إليها أيضاً . ورجع أندرو إلى العمل . لم يكن أحدنا لديه الرغبة لعمل أي شئ . كان لدينا العديد من الزوار ، وكنا نشكر الله لأجل كل واحد فيهم . وبعد أسابيع قليلة ، حان وقت حدوث شئ كان كلانا يخشاه . كان على أندرو أن يرجع للمنزل بعد ذهاب الأطفال للمدرسة ، لكي نبدأ في فرز كل متعلقات جنيفر . لقد قررنا أن نعطي معظمها لدار

محلي للأطفال . وبدأت ذلك الصباح أتساءل مرة أخرى كيف يمكنني أن أفعل ذلك ، فقد كان ذلك أشبه ما يكون بالتخلي عنها ، وأثناء انتظاري لحين عودة أندرو ، بدأت أصلي ، وذهبت للحمّام مرة أخرى . وكما بكيت في مناسبات أخرى كثيرة ، بكيت وأنا أصلي ، شاعرة أني لا أستطيع التخلي عن شئ . لقد ناقشنا من قبل هذا ، أندرو وأنا ، واتفقنا على أن نحتفظ بتذكارات لا تُنسى ، تلك الأماكن التي لا تنسى والأشياء التي لا تلمس كتذكار للأيام السعيدة الماضية . كانت جنيفر مع الرب . والمشكلة أنني كنت أريدها معي .

درس في المحبة :

وعندما حاولت أن أصلي ، وجَّه لي الرب سؤالاً واضحاً : « يابات ، هل تحبينني ؟ » ، ومثل بطرس في القديم ، أكدت للرب محبتي له . ثم أدركت تماماً كم كانت محبتي له ضعيفة ، لأنه مع أن الرب قد أخذ جنيفر ، لم أكن أريدها أن تذهب إليه . وعندما بدأت أفكر في هذا ، أحسست بالكلمات تتردد في أعماقي « لأنه هكذا أحب الله العالم ،حتى بذل ابنه الوحيد ، لكي لا يهلك كل من يؤمن به ، بل تكون له الحياة الأبدية » (يو ٣ : ١٦) . لقد أعلنت محبتي لله ، والآن فهو أراني هدف المحبة . فمحبته لي ، والتي لا يمكن معرفة عظمتها لا يمكن أن تُعرف ولا أن توصف بدقة ، قد حركّت قلبه ليعطي ابنه الحبيب لأجلي . وألا يعني هذا أن يترك المجد ليأتي إلى عالم أفسدته الخطية ليموت على صليب أليم ؟ .. لأجلي ؟ .. لأول مرة أرى شيئاً كلفه ثمناً فادحاً بأن يرسل ابنه العزيز ، ابنه الوحيد ، لخطاة مثلي . فكم يكون أسهل إذن أن أرد له ابنتي من مكان كهذا إلى يدي الشخص الذي أحبنا لهذه الدرجة لتكون في حضرته على الفور . وانسابت الدموع ، ولكن لسبب مختلف تماماً .

فأن تتخلى عن الله في مثل هذه الظروف وتتعهد القيام بمهمة لإصلاح حالتك الداخلية بنفسك فذلك لن يجدي شيئاً . فنحن لسنا مهرة أو مؤهلين للقيام بهذه المهمة « روح السيد الرب عليَّ لأن الرب مسحني لأبشر المساكين أرسلني لأعصب منكسري القلب .. لأعزي كل النائحين لأجعل لنائحي صهيون » (إش ٦١ : ١ - ٣) . إن هذا عمله .فلماذا إذن بدأت أفكر أن معونته لن تكون متوفرة دائماً ؟ هل لأن الله لا يرغب أن يساعدني بهذه الطرق الرائعة طوال

الوقت ؟ ربما عليَّ أن أحاول أن أقف على قدميَّ . هكذا كان تفكيرى لبعض الوقت ، وهكذا حدث ، ففى إحدى المناسبات الخاصة ، عندما فكرت أنى أستطيع أن أعزى نفسى بنفسى ، انهار عالمى ! ولكنى صممت أن أمضى فى طريقى حتى النهاية . يمكن أن أكون عنيدة ، وربما « مزهوة » هى الكلمة الأكثر صدقاً . لقد مضيت فى طريقى ، ولكن كان طريقاً موحلاً وقذراً ، لا شئ فيه يمجد الله .

مواساة الآخرين والتعزية :

فى إحدى الأمسيات بعد ذلك بعدة أيام بينما كان فيليب يأخذ حماماً أحسست أنه قضى وقتاً طويلاً فى الحمام ، فلما دعوته ليفتح الباب وجدته فى حالة يرثى لها . وعندما حاولت أن أواسيه ، لم يقبل المواساة قائلاً لى إنها ليست دموعاً بل الماء النازل من « الدش » يجرى على وجهه وأنه بخير ! لم يعرف فيليب مقدار الحزن الذى كنت أشعر به ، وكيف كان قلبى يرق له . بالطبع ، لن أستطيع أن أعيد جنيفر ، ولكننى استطعت أن أعزيه . لم أستطع أن أجعل العالم مكاناً أفضل ، ولكنى استطعت أن أشاطره حزنه ، وكم كنت مشتاقة لذلك . فكل أم تعرف أنه عندما يجرح طفلها أنها تشعر بالجرح بصورة أشد . فهذا هو إحساس الأمهات .

وبعد هذه الحادثة قرأت هذه الكلمات : « فمزق يعقوب ثيابه ووضع مسحاً على حقويه وناح على ابنه أياماً كثيرة . فقام جميع بنيه وجميع بناته ليعزوه فأبى أن يتعزى » (تك ٣٧ : ٣٤ - ٣٥) . لقد أعطانى الله درساً عملياً ، ألا أرفض تعزيته ! لقد تعلمت حينئذ أن الله يتأثر كثيراً بكل ما يؤثر فينا ، وأنه يتوق بقلب الأب المحب أن يساعدنا ويرفعنا ، وهو يحزن عندما نرفض تعزيته بعدم إيماننا . لا يجب أن نكون مثل يعقوب ونرفض أن نتعزى . لقد وجدت فى هذه الحقيقة الرائعة قوة فى العديد من ظروفى المستقبلية . إن الحقيقة الرائعة هى أن يسوع يهتم باحتياجاتنا ، مهما كانت هذه الاحتياجات . فهناك العديد من الاحتياجات مستحيلة التحقيق التى تظهر نتيجة للحزن والمآسى ، ولكن الله فى محبته يلطف من وقع كل مأساة ويزيلها ، مع إعطائنا إدراكاً جديداً لربوبيته فى كل مجال من مجالات حياتنا . فقد أعاننا طوال هذه السنوات وحتى اليوم ، فى الأوقات الصعبة .

فى وقت كتابة هذه القصة ، لم يتهم أو يدن أحد بارتكاب جريمة قتل جنيفر ، ولكننا نعلم أن الله لم ينسنا ، وسواء عمل ذلك أم لا ، فهذا فى سلطانه وفى وقته . وماذا عن الشعور بالمرارة ؟ هل أطلّت برأسها الكئيب بكل ما فيها من توجيه اللوم والاتهام ضد الله ؟ أستطيع أن أقول بكل تواضع إنه لم يحدث ذلك . إن محبة الله أبى قد غمرتنى ورفعتنى ، ولم أعد بحاجة للتفسير من ذاك الذى طرقه عدل وإرادته كاملة . وقد ابتهج أندرو أيضاً ، لأنه قد خلص أيضاً وسلّم حياته للرب . كما نشعر أننا نفخر بأحفادنا الرائعين .

هناك شئ واحد مؤكد ، فالسماء أمامنا ، والإجابات على تساؤلاتنا سوف تعرف ، وسوف نستمتع باللقاء معاً مرة أخرى .

{ ٢ }

اليزابيث ودونالد ماكاى

اليزابيث تبدأ القصة :

« لقد استمتعت بحياتك ، ولكن ماذا بشأنى أنا ؟ انظر إلىَّ . فلم تتح لى الفرصة لعمل أى شئ حتى الآن ،كانت المتحدثة فتاة صغيرة ، فى عمر أحد أطفالنا . كانت تعانى من مرض تيبس الأنسجة نتيجة لخلل فى الجهاز العصبى المركزى أو المخ أو كليهما ومعاقة أكثر منى . وهى تعتقد أن القدر القاسى ، الذى تدعوه الله ، هو الذى سبَّب مرضهـا ، وكان عندها القليل من الأمل . فكم أنا محظوظة ! ففى السنوات القليلة الماضية ، ساعدنى الله كثيراً . لقد سألنى أحدهم « ألا تسألين أبداً لماذا يحدث لى كل ذلك ؟ » . فى ضوء سؤال صديقى ، قد يتساءل المرء « ولماذا لا يحدث لى ذلك ؟ » . إن عدداً كبيراً من الناس يعانى من مشكلات . لقد استمتعت بحياة طيبة ، وأشكر الله من أجل البيت المسيحى .. فبعد طفولة سعيدة ، أعقب ذلك زواج سعيد . وباركنا الله أنا ودونالد بإعطائنا ثلاثة أطفال ، وصحة جيدة على العموم ، والعديد من الأصدقاء . وفوق كل ذلك ، فلدينا إحساس بحب الله وتدبيره لأمورنا .

فمنذ أن كنت فى المدرسة الثانوية ، تعلمت أن الله يستخدم كلمته ، الكتاب المقدس ، لمساعدة أبنائه وتشجيعهم . ولازلت أتذكر الليلة التى كنت أستعد فيها لخوض امتحان المستوى الرفيع فى اللغة الإنجليزية فى اليوم التالى ، وقد كان أهم امتحان فى كل حياتى المدرسية . وقد شعرت أنى لا أعرف شيئاً ، وكنت أشعر بخوف حقيقى . وقد بدا لى أن شهور الإعداد لهذا الامتحان قد ذهبت سدىً . فألقيت بكتبى جانباً فى يأس وتهيأت للذهاب إلى الفراش . وكالعادة التقطت كتابى المقدس . إنى لا أتذكر ما قرأته ، ولكن فى منتصف مذكرات الـ (Scripture Union) اتحاد جمعيات الكتاب المقدس ، وجدت هذه العبارة « إلى هنا أعاننا

الرب » (١ صم ٧ : ١٢) . ساعدتنى هذه الكلمات لأحصل على الصفاء الذهنى وأسترد قوى التفكير . استطعت أن أدرك أن هذا النص كان حقيقياً تماماً . فالله قد ساعدنى طوال الطريق ولن يخذلنى الآن . فالله حفظ وعده . وفى نهاية سنوات دراستى الجامعية ، برزت نفس هذه الكلمات فى الأمسية السابقة للامتحانات النهائية .

مرت السنوات واقترب موعد زفافنا وبدأنا البحث عن منزل مناسب إلا أن عملية البحث أسفرت عن عدة منازل غير مناسبة ، ولكننا وجدنا ما كنا نبحث عنه قبل زواجنا بشهرين فقط ، وعلقنا الكلمات المشجعة فى إطار على حائط حجرة النوم فى المنزل الذى أصبح بيتنا طوال العشر سنوات التالية ، لقد أكدت لى تلك الكلمات مراراً وتكراراً تدبير الله الحكيم ، وثبّتت إيمانى ، وهل كانت مصادفة أنى كنت أقرأ نفس الكلمات فى سفر صموئيل الأول عندما كنت فى المستشفى لإجراء الفحوص التى كشفت طبيعة مرضى ؟

دونالد يروى قصته :

لقد نشأت مثل اليزابيث ، فى عائلة مسيحية ، ولكن اختبار قبولى الإيمان لم يكن اختباراً هادئاً كاختبارها . لقد تطلب الأمر أن أجتاز أزمة خلال سنوات دراستى حتى أتبين أنى لا أستطيع أن أقود زمام حياتى لوحدى . لقد شعرت بارتياح عظيم حين ألقيت كل أحمالى على شخص أقوى منى ، ويحبنى بأكثر مما كنت أعتقد ، وبدأت أعيش حياتى لمجده . فقد منحنى وظيفة ، وقدم لى اختبارات متنوعة ، وفرصاً تثبت أمانة الله . كان الزواج (فى سن متقدم حين بلغت الخامسة والثلاثين) وإنشاء عائلة من البركات الإضافية .

عندما اعتزلت العمل فى عام ١٩٨٨ ، كانت تنتابنا مخاوف وقتية أن أصبح زوجاً متعباً ملازماً للمنزل ، ومعوقاً لمهمة إدارة المنزل . وكان ذلك من بين الأسباب التى دفعتنى للالتحاق ببرنامج لدراسة اللاهوت .

وقد أتاح ذلك لى قضاء وقت سعيد طيلة الجلسات الثلاث أثناء الفترات الصباحية .وخلال ذلك الوقت كانت اليزابيث نشطة ،فكانت ترأس الدار الملحقة بالكنيسة وتشرف على الكافتيريا الكبيرة لتقديم الطعام والشراب المجانى للفقراء فى مهرجان أدنبرة ،جنباً إلى جنب مع العناية

بأمها . مع استمرار المراسلة على نطاق أوسع .لقد ترك أبناؤنا المنزل ولكنهم كانوا يزوروننا مراراً كثيرة .

كيف بدأت المشكلة - اليزابيث تشرح ما حدث

في عام ١٩٩٠ تلقيت دعوة لحضور حفل عيد ميلاد . كانت الحفلة في ألمانيا ، وجاءتني الدعوة من صديقة كنت أعرفها منذ عام ١٩٥٧ . كانت صداقتنا عميقة وكان سروري أن نقضي الوقت معاً . وبينما كنت هناك ، ظهر ما يدل على أن صحتي ليست على ما يرام .

طيلة عدة شهور ، كانت عيني تقع كثيراً على الكلمات « لا تخف » في قراءاتي اليومية للكتاب المقدس . وذات مرة قرأت هذه الكلمات « لا تخف لا تموت » (قض ٦ : ٢٣) . تكررت هذه الكلمات وتركت تأثيراً عليَّ مما جعلني أقول لزوجي : « إني أتساءل إن كان الله يريد أن يخبرني بشئ ما » . تم فحصي بأشعة إكس ، وقبل الوقت الذي عدت فيه للمستشفى للاستفسار عن النتائج ، عادت الأمور لطبيعتها ، ولم تكن صور الأشعة تحمل شيئاً غير عادي. وبدلاً من ذلك وجدت نفسي ، وقد طلب مني أن أقوم بكل الأشياء الغريبة . شعرت وكأني كلب صغير يؤدي في سيرك . ما أن التقطت أنفاسي حتى استدعيت لقضاء أسبوع في الملجأ الملكي للمقعدين في أدنبرة .

وفي الليلة السابقة على دخولي ، شعرت بخوف شديد ، معتقدة أني سوف أواجه شيئاً خطيراً . وكمسيحية كنت أتساءل سراً عن كيفية تعاملي مع الصعاب الحقيقية . قرأت « كتاب النور اليومي Daily Light » الكتاب الذي يحوي نصوصاً قصيرة مرتبطة بموضوع معين . وما أن قرأته جعلني أتجه إلى كتابي المقدس . قرأت كيف أن يسوع هو الكرمة الحقيقية ونحن الأغصان ، والله الآب هو البستاني . ولكي يجعل الأغصان أكثر إثماراً فهو يشذبها . وكان هذا شيئاً معقولاً ، فقد رأيت ذات مرة كرمة مشذبة . وهذا يشبه ما فعله الله معي عندما أصبت بتيبس الأنسجة . وهناك عدد آخر قادني لما جاء في ٢ كو ١ . فنحن قادرون على التعزية ، كما عزانا المسيح . واستمررت في القراءة . إن بولس ، الكاتب ، كان يعاني من مرض جعله ييأس من الحياة ، ولكن الله نجَّاه ونجَّاه أيضاً من تجاربه التي مر بها وقتئذ . كان المطلوب من

أهل كورنثوس أن يسهموا بتقديم المساعدة بصلواتهم ، وشعرت بأن وعد الإنقاذ كان لى .

شعرت أنى قادرة على مواجهة أى شئ بعد أن توصلت لتفسير سبب مرضى وهدفه للآخرين ، ونتيجته النهائية . عندما كنت مُقدمة على إجراء عملية جراحية ، رفعت صلوات كثيرة ، وقد كان ذلك واضحاً وجلياً . كنت أعلم أن الله سوف يستجيب الصلاة سواء هنا أو فى الأبدية ، لم أكن أدرى ، ولكنى كنت أثق أنه سوف يستجيب فى هذه الحياة . إن الله لا يعد أن كل شئ سوف يكون سهلاً ، ولكنه يعد بحضوره معنا .

لو كان الله قد شجعنى الليلة الماضية ، كان يمكن أن تكون قراءتى الصباحية - وهى نهاية قصة راعوث - أكثر روعة . ففى اليوم السابق قرأت كيف انهار عالم راعوث بموت زوجها . وكان قد مات أخو زوجها ووالده ، وحماتها التى كانت تحبهما كانت ذاهبة إلى مكان بعيد . لم تكن راعوث تريد أن تعاود حياتها القديمة مرة أخرى . كانت مصممة أن تذهب مع حماتها . قرأت عن قيامها برحلة تبدو فى الظاهر أنها رحلة يائسة وكيف تغيرت حياتها تبعاً لذلك . لم تكن تدرك ذلك ، ولكنها كانت ستصبح ، إن جاز التعبير ، الجدة الكبرى لابن الله ، المسيا . وقد أبرزت مذكرات الدراسة الكتابية كيف أن الله قد استخدم ما يبدو أنه كوارث بشرية بطرق عجيبة . « ونحن نعلم أن كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله » (رو ٨ : ٢٨). وكنت أثق أننا ضمن هؤلاء .

دونالد يكمل القصة :

إن تشخيص المرض على أنه تيبس فى الأنسجة لم يكن له تأثير كبير على حياتنا العائلية . لم تكن هناك فائدة من التطلع نحو المستقبل . وعلى أى حال ، فقد سبق لإليزابيث أن تعرضت لحادثة مزعجة قبل ثمانى سنوات مما تطلب إدخالها المستشفى لعمل فحوص شاملة . وتم تشخيص المرض باعتباره نوعاً من مرض السكر (نتيجة لاضطراب فى الغدة النخامية) وتمت السيطرة عليه بسهولة إلى حد ما . أما بالنسبة لمرض تيبس الأنسجة ، فقد علمنا أن علاجه غير ممكن ، ولكن عند كثيرين من الكبار فإن نسبة العجز كانت تتزايد ببطء ، مع فترات من سكون لحدة المرض أحياناً . وقد أدى استخدام مجموعة جرعات باستخدام مركبات السترويدات إلى

تحسن ملحوظ فى توازنها وتماسكها .

ومع ذلك ظل الأطباء متحيرين بشأن بعض جوانب أعراض مرض اليزابيث ، وباتباع المزيد من التجارب قرروا أن التشخيص الأكثر احتمالاً هو تدهور فى المخيخ ، وهو الجزء من المخ المسئول عن الوظائف شبه الآلية والذى تمر عن طريقه جميع الرسائل العصبية من وإلى المخ . كان هذا يعنى نظرة مختلفة ، تدهوراً بطيئاً ولكنه ثابت ، دون تخفيف لحدة المرض ولكن ربما مع شئ من الاستقرار ، وهنا تملكنى الغضب . فما هى الاحتمالات لمعاناة اليزابيث من حالتين نادرتين وغير مرتبطتين ؟ أليس الأكثر احتمالاً أن مشكلاتها الحالية كانت نتيجة لبعض المضاعفات الناتجة عن مرض السكر (الناتج عن خلل فى الغدة النخامية) ؟ .

وهنا برز رأى آخر ، ولكن بعد مزيد من الفحص ، أخبرونا أنهم متأكدون الآن تماماً أن اضطراب وظيفة المخيخ هى سبب المشكلة ، علينا أن نقبل الحقيقة ونتكيف معها .

اليزابيث تسأل « أمر أم وعد ؟ »

ذكرتنى بطاقة الـ Scripture Union القديمة « اتحادجمعيات الكتاب المقدس » أن نتشجع ونحن نقرأ الكتاب المقدس بأن نسأل أنفسنا «هل هذا أمر نطيعه أم وعد نطالب به؟» . إن ما جاء فى يع ٥ : ١٤ يحتوى أمراً ووعداً فى نفس الوقت « أمريض أحد بينكم فليدع شيوخ الكنيسة فيصلوا عليه ... وصلاة الإيمان تشفى المريض .. » . وقد فعلنا ذلك تماماً . ولم يكن هناك شفاء فورى على الرغم من أن خطى قد تحسن لبعض الوقت . وكأن الله كان يقول : لقد سمعت ، بيدى كل شئ ، ثقى بى » . وأدركت الحاجة للصبر . ومن المزايا لمجئ الشيوخ للصلاة التأكيد بأن الصلاة سوف تستمر . ولنا تأكيد آخر أيضاً بأننا إذا احتجنا لمساعدة ، فسوف تعطى لنا فى أى ساعة من ساعات النهار أو الليل . ياله من مثال مشجع للمحبة المسيحية .

دونالد يكمل الحقائق :

مضت سنتان الآن تقريباً ، تدهورت فيها صحة اليزابيث كثيراً . كانت لا تزال تقدر على المشى وقيادة السيارة ، ولكنها كانت تفقد القوة فى ساقها الأيسر ، وكان التوافق الحركى يتم

بصعوبة أكثر . وأخيراً حان الوقت الذى أوصى فيه الطبيب الممارس باستخدام شارة المعوقين البرتقالية اللون . ثم جاء بعد ذلك الكرسى المتحرك للاستعمال من وقت لآخر فقط ، ولكنه سرعان ما أصبح من الضروريات .

العطلات ... اليزابيث تقوم بالترتيبات :

إن الله وعد بأنه لا يمنع خيراً عن الذين يحبونه . وكان لدينا الآن مثال على ذلك . فقد قرر كل من جانيت وفنلاى ، ابنتنا وزوجها ، أن يستمتعا بإجازة فى النمسا . وكانا يعرفان أن دونالد سوف يستمتع بالرحلة ، ولكنهما كانا يخشيان أن يقترحا أن يلحق بهما حتى لا أشعر بالعزلة والوحشة . ولكن بعد أن سمعت بطريق غير مباشر عن خططهما ، قررت أن أقوم بترتيبات أخرى حتى يذهب دونالد ، فتمت دعوتى للذهاب معهما . وقد شعرت أن تلك الرحلة تلائم احتياجاتى واستمتعت بها تماماً . بل أنها أعطت للآخرين الكثير من المتعة فى رحلتهما .

المشكلات كما رآها دونالد

بالنسبة لى كانت الأمور غامضة . فبعد دراستى اللاهوتية شعرت بالقدرة على القيام بدراسة أخرى فى موضوعات تتعلق بالبيئة ، وكنت قد ساهمت فيها أثناء حياتى العملية . وكطالب فى الدراسات العليا فى جامعة ابردين ، وجدت أنه من المناسب أن أعمل فى البيت مع القيام بزيارات للمكتبات فى أدنبرة والرحلات المعتادة من آن لآخر لابردين . لقد كان سباقاً ضد الزمن لاستكمال موضوع بحثى بينما كانت اليزابيث تستطيع أن تتعامل مع مشكلتها لوحدها ، وقد نجحنا فى مسعانا . تم التخرج فى نوفمبر عام ١٩٩٤ ، وقد تخرج ابننا « كولن » فى نفس الوقت ، وقام أربعة طلبة أقوياء البنية بالتطوع بتحريك الكرسى المتحرك برشاقة وبأقل مجهود إلى أعلى السلالم الضخمة نحو قاعة « مُتشل » .

وبمناسبة الحديث عن السلالم ، كان علينا أن نقرر أن ننقل حجرة نومنا إلى الطابق السفلى . فقد كانت اليزابيث تكافح لكى تصعد إلى الطابق العلوى بمشقة بالغة . وجاءت الخدمات الاجتماعية مع تقديم عروض سخية . فقد تمت إقامة حمام مجانى ، وقُدمت التبرعات السخية

لإقامة سلم متحرك . ومع أن السلم المتحرك لم يتم تركيبه لعدة شهور ، إلا أن ابنيها كانا يتواجدان في المنزل كل ليلة للمساعدة في حمل أمهما للطابق العلوى . إن الله قد لا يتعامل مع المشكلات بإزالتها ، بل يجعل التعامل معها ممكناً . ولابد أن المشكلات كانت تزداد حجماً ، فقد تدهور إبصار اليزابيث ، حتى أن العين لم تكن تستطيع أن تثبت لمدة طويلة على سطر مطبوع على سبيل المثال ، وقد أصدر مستشارها شهادة بعدم قدرتها على الإبصار . وكان هذا يعنى أنه بإمكانها الحصول على الكتب الناطقة وأشرطة الفيديو المسجل عليها الكتب التابعة لمنظمة تورش ترست Torch Trust .

لم تعد قادرة على تحريك الكرسى المتحرك يدويـــــاً - حيث كتب أخصائى تقويم الأعضاء (المجبِّر) عبارته غير المهذبة فقال : « إنك تقومين بالفعل باستعمال طرف واحد من الأطراف الأربعة » . ومع ذلك فقد أعطى الكرسى المتحرك الكهربائى ، السريع الحركة ، لاليزابيث القدرة على التحرك بالاعتماد على نفسها في الطابق السفلى ، وكان هناك سلم منحدر عند الباب الخلفى كان يسهل لها الوصول إلى الحديقة .

ولكن لكونها مرتبطة بالكرسى المتحرك ، فإن الدورة الدموية كانت بطيئة ، ساقاها وقدماها كانتا تشعران بالبرودة حتى فى الصيف . وقد أعدت الخدمات الصحية حلاً لهذه المشكلة أيضاً . فتم إعداد الجوارب الكهربائية ، لتعطيها حرارة هادئة فى المساء بنوع خاص ، وقد تم إعداد بطارية تتيح لإليزابيث أن تتحرك فى كرسيها لمدة قصيرة .

اليزابيث تتساءل « وماذا عن المستقبل ؟ »

ماذا عن المستقبل ؟ إنى أعلم أنى لازلت أتراجع . هناك أشياء ، لو كنت قد توقعتها ، لكانت قد أشاعت فىَّ الرعب ، ولكننا فى الحقيقة استطعنا التغلب على المشكلات . ومن الناحية الأخرى ، فقد كان لنا امتياز أن نرى كيف استخدم الله حالتى كسبب بركة للآخرين . وقد ذكّرنى أحدهم وقد أصبح صديقاً بعد أن تعرفت عليه بسبب مرضى قائلاً : « لو كانت الصلوات المستجابة مجرد مصادفات ، فلماذا يحدث أننى عندما أكف عن الصلاة ، تتوقف المصادفـــات عن الحدوث ؟ » . إنها بركة أن تختبر أمانة الله وتعرف أنه المسيطر على كل شئ .

دونالد يوضح قائلاً - الحاجة للعون والحصول عليه :

كيف أثر كل ذلك عليّ ؟ من الناحية الجسمية استطعت التعامل مع المطالب المتزايدة بصورة مطردة الخاصة برفع اليزابيث إلى أعلى . ولئلا يصبح المجهود كبيراً جداً على مر الأيام ، فقد أعد الأخصائي المهني خططاً لإعداد وسيلة للرفع لتساعدني .

والمشكلة الكبرى هي الناحية النفسية ، فليس بالهين أن ترى شخصاً محبوباً تتدهور صحته أمام ناظريك . وإني أشكر الله لأن عملية التدهور قد حدثت تدريجياً ، مما مكّن كلينا من التكيف مع الأوضاع والعلاقات الجديدة . بالطبع ، كان هناك فارق هائل لصالحنا ، لأن اليزابيث كانت قوية عقلاً وروحاً ، وهي تحاول دائماً أن تكون إيجابية تجاه التحديات التي تواجهها وأن تحولها لصالحها .

ومما لا جدوى منه أن نتظاهر بأن كل شئ كان إيجابياً . فقد كانت هناك توترات وضغوط ، وأوقات للكآبة ورثاء للذات من كلا الطرفين . لقد اجتزت فترة قصيرة من الاكتئاب الهادئ الذي كان يزول بتناول الأقراص وممارسة التدريبات . وقد قامت الخدمات الاجتماعية بتدبير التمريض والزيارات المنزلية لتقديم المساعدة لتتيح لي الحصول على قسط من الراحة لمدة يوم في الأسبوع . وكان هناك أيضاً فترة راحة من ترتيبات الرعاية في مستشفى ليبرتون كل شهرين أو نحو ذلك استخدمتها اليزابيث ببراعة . وكان هناك أيضاً الامتياز الأعظم لانتمائنا لرابطة كنسية . فقد كانت الكنيسة بيتنا الروحي طوال فترة حياتنا الزوجية ، ولم نعرف قيمة ذلك قدر ما عرفناه في تلك الأوقات . فقد أثبتت عظات يوم الأحد أنها الدواء الشافي الذي كنا بحاجة إليه في ذلك الوقت . إننا نعرف الكثيرين الذين يصلون لأجلنا بانتظام ولابد أن هناك الكثيرين غيرهم يفعلون كذلك في الاجتماعات الكنسية وفي الطائفة على نطاق أوسع والذين لا نعرفهم . إن المساعدة العملية تأتي بأشكال مختلفة ، وغالباً قبل تعرفنا على الحاجة إليها بأنفسنا .

فلو أدركنا حقيقة أن الله هو الذي أتى بنا إلى الموضع الذي نحن فيه وأنه يعمل كل الأشياء للخير للذين يحبونه وأنه هو نفسه معنا وبجوارنا في المياه العميقة ، لحصلنا على مفتاح لكل ما يحدث في مستقبل حياتنا .

تقول اليزابيث « لا توجد إجابات سهلة »

هل أنا تغيرت ؟ كلما مر الوقت ، تأثرت كل حاسة من الحواس تأثيراً عكسياً ، كالبصر والسمع واللمس والقدرة على الحركة وحتى التقلب فى الفراش ، والنطق لدرجة أن مواصلة الحديث تعد مجهوداً شاقاً ، ومن الممل أن نكتب قائمة بكل مشكلة . وأشكر الله أنه لم يحدث تغيير حقيقى فى الشخصية أو نقص فى الملكات العقلية .

وبتغير القدرة الجسمية ، كان لابد من حدوث تغيير فى نظام الحياة . فبدلاً من أن أكون الراعية ، كنت أنا الذى بحاجة لمن يرعانى . وبدلاً من أن أكون فى مركز قمة النشاط ، أصبحت على الحافة وأحياناً مستبعدة تماماً . ولكن الكثيرين من الناس نتيجة لحادث أو لكبر السن أو المرض يجدون أنفسهم فى موقف مشابه ، ولكن ربما بدون وجود أحد على استعداد لتقديم المساعدة أو قادر على تقديمها . فلم تعد هناك اتصالات إنسانية عادية فى المحال التجارية والباصات أو حتى فى الشارع ، كما أن امتياز العبادة فى يوم الأحد يصبح شيئاً ثميناً جداً . وهكذا أيضاً أى زيارة ، مهما كانت لمدة وجيزة .

لكل موقف جانبان ، وقد فضلت أن أسجل المشكلات التى يتوقع المرء أن تكون جزءاً لا يتجزأ من المرض الذى كنت أعانى منه . وبالنظر إلى الموضوع من زاوية أخرى ، كمسيحية ، فقد تأكد لى أن الله هو المسيطر ، وقد اختبرت امتياز أن يرينى الله مقدماً ما كان يفعله .

لقد كنت أفكر فى معظم الأوقات فى الأسباب التى أعتقد أن الله أوضحها لى كسبب من أسباب مرضى . اعتقدت أن السبب هو التشذيب لكى تثمر علاقتى مع الآخرين . منذ مدة وجيزة رأيت حوضاً للزهور غير معتنى به ، فامتلأ غطاء كثيف من الحشائس ، وكما كان منظر الزهور يدعو للرثاء . لقد أدركت أن البستانى الأعظم يعرف كيــف يشذب النباتات ليجعلها قوية وجميلة . لقد أرادها أن تتمم الغرض الذى أوجدها لأجله عندما زرعها . إن ثمــر الــروح فهو محبة ، فرح ، سلام ، طول أناة ، لطف ، صلاح ، إيمان ، وداعة ، تعفف » (غل ٥ : ٢٢) .

فلولا التدخل الإلهى ، ولو تركنا لذواتنا ، فنحن نصبح فى الأغلب أشبه ما يكون بحوض الزهور المهجور .

القراءة والكتابة :

وردت تلك الفكرة كثيراً فى العديد من الكتب التى اطلعت عليها : « كن حذراً عندما تطلب من الله أن يجعلك أكثر فائدة له ، فقد يطالبك بوعدك » .

إن تعامل الله معنا قد لا يكون مريحاً لنا بنوع خاص ، فعلينا أن نتعامل مع كل ما هو غير مرض لله فى حياتنا . فعملى إذن ، يجب أن يكون مريحاً للآخرين كما أراحنى المسيح . وإذا اعتمدت على قوتى الخاصة فلابد لى من الفشل فى تحقيق ذلك . إننا نحتاج إلى نعمة الله بشدة . عندما صلى بولس لكى يريحه الله من مشكلته الصحية ، أجابه الله « تكفيك نعمتى لأن قوتى فى الضعف تكمل » (٢ كو ١٢ : ٩) ، كم أفادتنى هذه الآية كثيراً .

إنى لا أدَّعى امتلاك مهارات أدبية كبرى . فقد كُتبَ مقال فى مجلة « الحياة والعمل » Life and Work يرينى كيف ساعدنى الله من خلال كلمته ، وهى مجلة ذات توزيع كبير إلى حد ما . وبفضل مهارة المحرر ، تم تقديم المقال بصورة جيدة . وكانت هناك سيدة معروفة لنا مرضت أخيراً وكانت على وشك أن يتم إدخالها دار للفقراء والمسنين لتقضى فيه بقية حياتها ، وقد أحضرت إليها صديقة بنسخة من المقال ، فقرأته ثم أعادت قراءته ولم تكن ترغب أن تبعد المقال عن ناظريها . وإنى أتصور أن عنوان المقال « لا تخف » الذى وضعه المحرر ، كان هو ما احتاجت إليه بالضبط . وبعد ذلك بعدة أيام ، وقبل موتها بوقت قصير ، أشرت إلى « السلام الذى يفوق كل عقل » (فى ٤ : ٧) . وقد حملت لى ابتسامتها تأييدها لما قلت .

ربما يعد نشاطى الوحيد النافع للآخرين هو كتابة الخطابات . فربما يستخدم الله هذه الخطابات ، فمن الصعب الحكم على مثل هذه الأشياء .

ليس من الأمانة ، إزاء الحالة الراهنة ، أن أرفض التصريح بأن الحياة صعبة . فقد كان على دونالد أن يفعل كل شئ ، بينما لا أفعل أنا أى شئ لأساعده . وإنها لضربة لكبرياء المرء أن يرى كيف تمضى الأشياء بدونه . وقد جلبت لى السنوات القليلة الماضية جيشاً حقيقياً من المعاونين المحترفين . وحتى وإن لم أوافق دائماً على الطريقة التى ينفذون بها المهام ، إلا أن أقل ما يمكن أن يعمل أن أبين كيف أشعر نحوهم بتقدير عظيم .

من الواضح أن أنشطتى السابقة لم تعد ممكنة . ولكن ليس هناك فى الكتاب المقدس ما يدل على أن الله يستبعدنا من خدمته بسبب مرضنا . هناك مستشفى محلى يقدم عناية لفترة من الوقت . هناك تجد كل أفراد المستشفى مكرسين لهذا العمل ومعاونين لك . وكثير من المرضى أكثر إعاقة منى . وكثيرون لديهم القليل من الأمل. يتسا ءل أحدهم قائلاً : « هل هذا هو المكان الذى يريدنى الله أن أكون فيه ؟ » ، إن الإيمان يُحترم دائماً دون أن نتشاور مع الآخرين . فالناس تلاحظ بسرعة عدم التطابق بين الأقوال والأفعال . وكم من الأهمية بمكان أن نتجنب موقف الانتقاد للآخرين والقيام بوعظ الناس دائماً . لقد أصبح واضحاً أن عينىّ يجب أن تكون مثبتة على يسوع ، وليس على الآخرين لانتقادهم .

كيف يمكننى أن أجيب على تساؤل صديقى الصغير ؟ لا توجد إجابات سهلة . أتذكر وأنا طفلة صغيرة ، أنى كنت أرنم « *حيثما يذهب يسوع . أذهب مطمئنة معه* » . والآن بعد نصف قرن من الزمان فإنى أكثر قناعة من أى وقت مضى ، أنه هو الجواب وأنه يمكننى أن أمضى آمنة نحو آفاق المستقبل ، مهما كان ، واضعة يدى فى يده ، وسائرة معه .

{ ٣ }

جون ميكلجون

إن الرأس التى ظهرت من الكوة على ظهر كاسحة الألغام بمحاذاة الرصيف ، كانت تشبه إلى حد كبير فكرتى عن « روب روى مكجر جريجور » (Rob Roy Mc Gregor) أو أحد سكان اسكتلندا البدائيين . كانت رأسه مغطاة بشعر بنى كثيف ومحاطة بشارب بنى غزير . وقد لمسنى وقاد السفينة التى كنت سأستقلها برفق قائلاً لى : « انظر إليه ، إنه مجنون . إنه يعظ على نواصى الشوارع » .« فأخذت أفكر قائلاً فى نفسى يارب ، هل ستأتى قريباً ؟ » .وحاولت ألا أظهر أى نوع من الغضب وقلت :« وكذلك أفعل أنا » .

كان قد مضى عام على تخرجي من الكلية البحرية الملكية ، وقد قضيت ذلك العام فى العمل كمهندس على أحد سفن جلالة الملكة للإنقاذ . وقد تقدمت ببطء عما كنت عليه وقت تجديدى فى سن الخامسة عشرة ، ووصلت إلى مرحلة المساومة مع الله ، فقلت له « يارب ، لو أخرجتنى من هذا المأزق ، سوف أشهد لك وأخدمك » . وأعقب ذلك نقلى من كلايد Clyde إلى شيرنس Sheerness ، وفى أول يوم فى المكان الجديد توقع الله منى أن أفى بما تعهدت به من جانبى . عند النظر إلى الوراء ، يمكننى أن أرى خطة الله بوضوح ، ولكن قد ثبت أن خطوة الإيمان هى أول خطوة تعقبها خطوات كثيرة فى السير المرضى مع الله .

خلال أول عام فى « شيرنس » تزوجت « ايرين » ، وفى نهاية تلك السنة واجهنا أول عقبة معاً عندما أغلق حوض بناء السفن وأطلت البطالة برأسها القبيح . وقد أعقب ذلك انتقالى للعمل كمرسل فى الميناء فى اسكتلندا . وقد كان هذا العمل مرضياً فى البداية ، ولكنه ثبت أنه متعب فى النهاية . وإذ شعرت باليأس وعدم السرور ، قدمت طلبات للحصول على وظيفة وراء الأخرى قبل أن أقبل كضابط أقوم برعاية المسجونين والعناية بهم فى قسم تقديم الخدمات فى السجون الاسكتلندية .

نصيحة قيمة :

لن أنسى النصيحة التى قدمها لى رئيسى فى الأسبوع الأول .قال لى :« يامستر ميكلجون ، إنك سوف تتعامل مع أناس غير أمناء ، وكذابين ، ولصوص ، وغشاشين . وعليك أن تتعامل معهم بكل أمانة وإلا سوف تفقد مصداقيتك ، وثقتهم واحترامهم » .

لقد تم « توجيهى » من قبل أفضل المساجين ، واحد من صفوة المساجين . قال لى جورج George c . قصة جعلتنى أقتنع أنه صادق وتائب وفى حاجة إلى العون ، وأنى الشخص الوحيد فى العالم الذى يستطيع أن يساعده . وقد فعلت ذلك ، وسرعان ما أدركت أنى قد « خُدعت » . فى مناسبات عديدة ، استمعت إلى قصص مشابهة بنفس الحماس والخبرة ، وقلت إنى قد خُدعت على يد أفضل الهواة والمشهورين . وكان الجواب فى معظم الأحيان عبارة عن ضحكة استهزاء ، ولكن قد كان علىَّ أن أحاول مرأت ومرأت .

فى بداية عملى ، قابلت المسجونين لمدى الحياة ، وعدد كبير منهم قد تم تخفيف العقوبة من الإعدام إلى السجن المؤبد . وحيث أنى فى يوم من الأيام قد أواجه شخصاً ينتظر تنفيذ حكم الإعدام ، كان علىَّ أن أقرر موقفى تجاه عقوبة الحكم بالموت كما أقرها القانون .

وإذ كنت أعتقد أنى كنت فى قسم تقديم الخدمات للمساجين لأن الله أرادنى أن أكون هناك ، استنتجت أنه حيث أن الله قد وضعنى فى هذا القسم فى الوقت الذى كانت فيه عقوبة الإعدام سارية المفعول ، فإذا أتيحت لى الفرصة للتعامل مع واحد ممن سوف يحكم عليهم بهذه العقوبة فعلىَّ أن أنفذ ما يُطلب منى أياً كان . ووجدت ما أرشدنى : « فاخضعوا لكل ترتيب بشرى من أجل الرب . إن كان للملك فكمن هو فوق الكل . أو للولاة فكمرسلين منه للانتقام من فاعلى الشر .. » (١ بط ٢ : ١٣ - ١٤) .

وقد طلب منى ذات مرة أن أتعامل مع شخص محكوم عليه بالإعدام ، وآخر من تم فيهم تنفيذ الحكم بالإعدام فى اسكتلندا ، وقد عملت معه ومع عائلته ، وأنا أقدم المساعدة فى ترتيب بعض زياراته الأخيرة قبل تنفيذ الحكم . ولم أكن آسفاً عندما أُلغيت عقوبة الإعدام من سجل قانون الأحكام .

وقد سئلت من وقت لآخر : « كيف يمكنك أن تعمل مع أشخاص ارتكبوا مثل هذه الأفعال الشريرة ؟ » . إنى لم أنظر إليهم هذه النظرة ، بل كأشخاص كان عندهم نفس المشاكل التى نعانى نحن منها . لقد كنت أنظر إليهم كما هم ، ولا أنظر لما فعلوه . لقد كان من الضرورى نظراً للاعتبارات الأمنية التأمل فى طبيعة الذنب وطول مدة الحبس المحكوم بها ، ولكن بخلاف ذلك حاولت أن أعامل المسجونين كأشخاص فى حد ذواتهم . ولم يرد ذلك لكل إنسان ذاتيته واعتباره فقط ، ولكنه ساعد أيضاً فى إزالة الاستجابة الانفعالية فى اتخاذ القرار عند التعامل مع أناس محكوم عليهم بنفس الأحكام ولكنهم ارتكبوا جرائمهم فى نوبة انفعال شديد أو مع سبق الإصرار ببرود . لقد كانت هناك أوقات صعبة ، لأن بعض الناس لم يكن ممكناً أن نصفهم سوى بأنهم أشرار ، وليس من السهل أن نقف حيالهم موقف الحياد والهدوء .

سوف نلتقى ثانية :

الذين يعملون فى السجون دائمو التنقل ، فقد عملت فى عشرة سجون مختلفة فى كل أنحاء اسكتلندا وعشت فى تسعة منازل مختلفة . إن الانتقال من منزل إلى آخر من الأحداث الضاغطة فى حياة المرء . فعلى الأطفال الانتقال من مدرسة إلى أخرى وتكوين صداقات جديدة أو إذا حدث النقل فى وقت غير مناسب فى أثناء فترة التعليم ، فيمكن تركهم فى رعاية الأصدقاء أو العائلة . وهناك أيضاً الأولوية المسيحية للبحث عن كنيسة جديدة . والانتقال من مكان إلى آخر يمكن أن يكون بركة أيضاً ، لأن لنا أصدقاء الآن فى كل أنحاء اسكتلندا .

والمساجين يُنقلون أيضاً ، لأن بعضهم يُنقلون من سجن إلى آخر وفقاً لتقادم المدد المحكوم بها عليهم ، وينفذ آخرون أحكاماً أخرى فى سجون مختلفة، ويلتقى العاملون بالسجن مع نفس الأشخاص مراراً وتكراراً . كان جيمس من بين أوائل المحكوم عليهم بالسجن لمدى الحياة. تقابلنا فى سجن إبردين ، وبعد ١٥ سنة أخرى التقينا فى سجن آخر ، ففرح لرؤياى . لقد كنت وجهاً مألوفاً له ، وجهاً متواصلاً فى حياته ، كما كان كبير الضباط كذلك حيث استطاع جيمس أن يتذكر الوقت الذى كان كبير الضباط ضابطاً صغيراً فى بارلينى Barlinnie . ومن المحزن أن تكون الحوادث الرئيسية فى حياة إنسان وثيقة الصلة بالوقت الذى تم قضاؤه فى السجن .

بسبب التغييرات فى قسم خدمة المساجين ، كان عليَّ أن أقرر إذا كنت أرغب فى أن أبقى بقسم خدمة المساجين أو أصبح ضابطاً تحت الاختبار . وكلتا الوظيفتين تتطلبان التدريب ، ولكن فى ذلك الوقت كانت وظيفة مساعد مأمور السجن مطلوبة . فقدمت طلباً للالتحاق بها وتم قبولى . قضيت ثمانية شهور فى الكلية فى « ويكفيلد » أعقبها التعيين للعمل فى « بلمونت بورستال » وهناك أدركت طبيعة العمل الذى يقوم به المتطوعون المسيحيون الذين كانوا يديرون فصول الكتاب المقدس ويدعون فيها القسوس . ويستمر العمل اليوم ، غالباً بالاتفاق مع رابطة السجن . وأعرف الكثيرين الذين تم اجتذابهم للمسيح عن طريق العمل الأمين للمسيحيين الذين دعاهم الله للخدمة فى فصول الكتاب المقدس داخل السجون ، ومؤسسات رعاية صغار المجرمين.

وبعد أن بدأت عملى كمأمور للسجن ، عرفت أن إيمانى المسيحى يجب أن يوجه طريقه تنفيذ واجباتى وأن أكون دائم الحركة للخدمة طوال حياتى . كان عليَّ أن أكون رسالة علنية ليسوع ، أو كما عبَّر بولس عن ذلك بالقول : « ظاهرون أنكم رسالة المسيح » (٢ كو ٣ : ٣) . إن واجباتى وطريقة القيام بها يجب أن تمجد الله القدير . فالشهادة العلنية والشهادة للعاملين ولنزلاء السجون كانت تقدر حق قدرها ، وقد أتاحت الفرصة لكل من كان يرغب فى العمل الفردى ، الذى كان عادة يبدأ بهذا السؤال : « إنك مسيحى أليس كذلك ؟ » .

شخصيات نابضة بالحياة - على جانبى القضبان :

كنت أستمتع بالعمل مع « الأشخاص » فقد كانوا يضيفون معنى للحياة ، فقد كانوا بفضل قوة شخصياتهم بارزين وملحوظين .كان القس ساندى Sandy من أحب الأشخاص لى ، كان قسيساً يعمل لبعض الوقت ، وكان يشبه الفلاح . وكان جراف (Gruff) يتحرك حركة مفاجئة فى بعض الأحيان ، ويمكن الاعتماد عليه دائماً فى الذهاب للميل الثانى . فعندما كان يرى احتياجاً ما ، كان يمضى إلى أى مكان لتقديم المساعدة .

ومن بين رؤسائى المباشرين شخصية أخرى . لقد اختار الدور الذى كان متوقعاً منه القيام به ولعبه بكل مهارة الممثل المسرحى وحماسه . وعندما كان النظام مطلوباً كان هو أول من يفرض الانضباط ، وعندما كان البحث والتقصى مطلوباً كان يقوم بالبحث بهمة وحماس شرلوك هولمز .

ولقد تعلمت منه أنه حتى الإنسان الذى فى السجن لا يزال يستحق الاحترام والكرامة من قِبل الذين لهم سلطان عليه .

كان سامى Sammy وغداً محتالاً ، إلا أن شخصيته محببة ، يلمح الفرصة المواتية ، وكان يقوم بمخاطرات دائمة لخداع السلطات والنيل منها . لقد استغل النظام بمهارة وبجرأة ، وقبل ما حكم به عليه عندما تم القبض عليه كالعقوبة العادلة التى يستحقها . كان سامى شخصية صريحة من الظاهر ، ولكنه فى الباطن كان يصعب الوصول لقرارة نفسه اللهم إلا لعدد محدود من الناس . كان علىَّ أن أستدعيه لأخبره أن والده ، وقريبه الوحيد قد مات . فلما سمع الخبر جلس وبكى بكاءً شديداً بدموع غزيرة تدل على الحزن الشديد ، وجفف دموعه ، ونهض من كرسيه وقال : « شكراً لإخبارى لوحدى ، أيها الرئيس ، إنه سر بيننا » . وفى اليوم التالى ، كان يبرز نفس الشخصية التى يواجه بها الآخرين ، إن سامى يذكرنى بأن يسوع يرانا كما نحن وليس كما نبدو .

درس عملى :

سجين آخر محكوم عليه لمدى الحياة أعطانى درساً آخر . كان يلف نفسه فى عباءة من الصمت ولا يتكلم إلا عند الضرورة القصوى . ولكونه يعيش فى عالمه الصامت ، كان يبدو محصناً ضد تقلبات الحياة فى السجن . وكنا قد بدأنا تكوين فريق للتمثيل فى السجن وقدمنا مسرحية مكونة من فصل واحد ، وقد نجحت. أما الرجال الذين أرادوا أن يكونوا أكثر مجازفة ، فقد كانوا يستعدون لأداء مسرحية من ثلاثة فصول . كان مأمور السجن هو المنتج ، وقد أوكل لى القيام ببعض أعمال الكواليس (خلف المسرح) . وفى إحدى الليالى ، ولفرط دهشتنا ، كان السجين الصامت فى الفريق . جالساً بعيداً لوحده ، ولم يتحدث مع أحد ، ولكنه كان يرقب كل شئ . واستمر ذلك لبضع أسابيع قليلة ، وتم قبوله باعتباره مجرد متواجد هناك .

واستمرت « البروفات تجرى » ، وكنا نعد للمؤثرات الخارجية . وهذه المؤثرات التى كان الرجال يعدونها كانت تحدث فرقعة عالية باستخدام الألعاب النارية المسرحية ووميض المصابيح . كان كل شئ معداً ، ولكن صادفتنا مشكلات فى إعداد الإشارة اللازمة للضغط على المفتاح

الكهربائى ، وعند التوقيت الرابع والخامس الخاطئ ، تم دفعى إلى جانب ، وسمعت صوتاً يرن فى أذنى ويقول : « افسح الطريق » ، قام صديقنا السجين الصامت بالاندفاع وتخطانى ليأخذ مكانى عند المفتاح الكهربائى . فتم النطق بالكلمات ، وجاءت الإشارة وبتوقيت مدهش أدار المفتاح الكهربائى ، واحتفظ بمكانه فى الفريق . وعلى الرغم من أنه لم يصبح متحدثاً لامعاً ذات مرة ، إلا أنه استمر يتحدث منذ ذلك الوقت فصاعداً . إن مؤثراتنا الصوتية الجديدة علمتنى ألا أفقد الأمل أبداً ، حتى وإن بدت الأشياء لا تبشر بذلك .

توجد وسيلة لترويج المعلومات بين المساجين تنتشر الأخبار عن طريقها بسرعة بالغة . وما حدث كمفاجأة أنها كانت تتعامل أيضاً فى التنبؤ بالأنباء المستقبلية ، لقد استدعيت للجنة الترقيات وكانت النتائج عادة تظهر بعد أسبوعين ، ثم يتم تعيين المرشحين الناجحين بعد مرور شهر . ولكن بعد عشرة أيام من استدعائى للجنة الترقيات حيانى سامى بالقول : « أيها الفلاح الصغير ، لقد تمت ترقيتك وسوف تذهب إلى جلينوكيل Glenochil . فسألته إن كان يوجد خط تليفونى ساخن بينه وبين المكتب الرئيسى فى اسكتلندا ! وبعد بضع أيام قليلة ، أعلنت ترقيتى وكذلك تعيينى فى جلينوكيل . ولازلت لا أفهم كيف حدث ذلك .

كانت إقامتى فى جلينوكيل قصيرة : وبعد تسعة شهور من وصولى أخبرت أننى عُينت فى دمفريز Dumfires لأكون مسئولاً عن مؤسسة صغار المجرمين هناك . وقد هالنا هذا الخبر ، فقد كان يعنى أن واحداً من أبنائنا سوف يذهب إلى ثالث مدرسة ثانوية له فى ثلاث سنوات ، وأن زوجتى ، التى عادت لمهنة التمريض بالمنطقة كان عليها أن تتخلى عن وظيفتها . قضينا وقتاً طويلاً كعائلة نناقش هذا الموضوع ، وقد صليت أنا وايرين كثيراً لله بخصوص هذا الموضوع . تركنا ابننا الأكبر للإقامة فى أحد المساكن فى برث (Perth) لإتمام دراسته ، وقد كانت له تعليقات كثيرة حول عدم وجود بيت مستقر . فانتقال الأب يسبب الاكتئاب للآخرين . وقد كان يبدو أنه من الأفضل أن أسكن فى مسكن مأمور السجن فى دمفريز لوحدى ، ثم تنضم لى العائلة فى العطلات الأسبوعية .

البحث عن منزل والفحص القلبي :

أخذنا نبحث عن منزل لإيرين والعائلة ، وأخيراً قدمنا عرضاً لشراء منزل . وكانت الأيام القليلة التى قضيناها فى انتظار الرد من أشد اختباراتنا قسوة . فكلانا شعر بنذر السوء . كان يبدو أن الظلام يكتنفنا ، ونشعر بالغم داخلنا ، حيث أنه لا أحد منا يستطيع ألا يبالى بما سيحدث . وفى الليلة السابقة لسماعنا عما إذا كان العرض قد قُبل أم لا ، ظلت إيرين مؤرقة . وعندما وضحت مشاعرها فيما بعد قالت : « كان الأمر يبدو كما لو كنت أضع خطة للطلاق . لقد كنت راقدة فى فراشى أفكر فبمن سيذهب إلى دمفريز ومن سيبقى فى ألفا Alva . وكلما فكرت فى ذلك ، ازداد اكتئابى وحزنى » . لقد كانت معركة – معركة داخل عقولنا ومعركة فى أرواحنا . كانت صلاتنا الدائمة أن يسيطر الله على كل شئ ليس فى خطته لأجلنا ، وأن يتمم إرادته معنا.

وعند حوالى منتصف صباح اليوم التالى اتصل المحامى . لقد رُفض عرضنا . وقد قبلنا ذلك باعتباره الرد الإلهى الفورى . لقد كان من الواضح أن البائع قد رفض العرض دون التشاور مع زوجته أو محاميه ، اللذان طلبا منا بعد ذلك أن نقدم العرض مرة أخرى ، وأكدوا لنا أنه سوف يقبل . ولكن الغمامة قد رُفعت عن أعيننا واستجاب الله لصلواتنا . لقد أراد الله أن نكون فى دمفريز كعائلة وقد أطعنا رغبته عن طواعية . وقد كان ذلك من العدل أيضاً . كانت مدة خدمتى فى جلينوكيل ١١ شهراً ، ولكن كان المفروض أن أمضى فى دمفريز ٩ سنوات .

وكلما ورد اسم دمفريز فى وسائل الإعلام توصف بأنها « أردأ مؤسسة لصغار المجرمين » ، إنها تستحق هذا اللقب من أوجه عديدة . فقد كان بها حوالى ١٢٠ شاباً بين سن الـ ١٦ والـ ٢١ سنة ، وجميعهم ينفذون أحكاماً بالحبس لمدد تتراوح بين ثلاث سنوات فأكثر . وعندما ذهبت هناك كمأمور للسجن كان حوالى أربعين منهم ينفذون أحكاماً بالسجن مدى الحياة ، كان بعضهم يصر على تحدى السلطة ومقاومتها ، وآخرون كانوا يجلسون يراقبون ويقيّمون ويتحركون ليعدوا أنفسهم عندما يقررون أن الوقت قد حان للمقاومة . كان هناك صبية منضمين لعصابات ، وكان هناك المراهقون ولاعبى القمار وأتباعهم ، وجماعات من المشاغبين يستأسدون على من هم أضعف منهم ، وأولئك الذين يستأسد عليهم الآخرون ، خليط من المراهقين مختلفى الأمزجة . وقد كان

من صميم عمل القائمين بالرعاية ألا يشهِّروا بهم بحيث يمكّنون كل شاب فى المكان أن يعيش حياته بسلام وأمان .

كان المستأسدون مشكلة دائماً ، خاصة عندما يوجهون انتباههم للأولاد المتهمين بارتكاب جرائم ضد النساء أوالأطفال .

ونتيجة للتعامل مع صبى كان يخطط للانتقام من أولئك الذين كانوا يفرضون سيطرتهم عليه أنى تقابلت مع فريد ليمون (Fred Lemon) الذى كان قد تجدد حين كان متهماً فى سجن دار تمور Dartemoor . كان جيرى Jeray على رأس الطرف الآخر المقصود بالتهديدات والانتقام المخطط على نطاق واسع عن طريق التآمر والقيام بحرب عصابات . وقد أحاطنا نظام المخابرات فى السجن ، علماً بما كان يحدث ، وفى النهاية ، قررت أنه يكون من الأفضل لكل المعنيين بالهجوم ، وبنوع خاص ، جيرى ، أن يستبعدوا الظهور لفترة قصيرة ، فوضع فى زنزانة منفصلة بهدوء ، وأبعد عن الاتصال بأصدقائه الذين يتفرقون بدون قائدهم . ولما وجد جيرى أنه لا يمكنه عمل شئ أفضل ، بدأ يشق طريقه نحو المكتبة ليقرأ بعض الكتب ، وأحدها عنوانه «التحرر من القيود » بقلم فريدليمون . وحيث أن كتبه كان لها تأثير كبير علىَّ فقد وضعتها فى المكتبة . وفى يوم ما ذكر جيرى أنه قد كتب إلى مستر ليمون وأنه كان قادماً لزيارته . ونتيجة لذلك فقد أقمت أنا وفريد صداقة بهيجة ، وأنى لازلت شاكراً لجيرى ذلك .

كان فصل الكتاب المقدس فى « دمفريز » جزءاً حيوياً من الحياة هناك . ولم يكن من الغريب أن تجد ٥٠ شاباً يحضرون عملاً روحياً . وكم أتذكر جيداً الليلة التى تلقيت فيها دعوة من) Jimmy Med (جيمى مك ذى ليخبرنى أنه قد قاد أحد الشبان إلى الرب . لقد كان تجديداً حقيقياً ، ولا يزال JC على اتصال بى .

تمثيلية سندريللا :

كان اجتماع إصدار الأوامر يعقد كل يوم فى الساعة العاشرة والنصف صباحاً ، وكانت تقدم الالتماسات ويتم الرد عليها ، ويتم الإبلاغ بنظام المؤسسة فى حجرة إصدار الأوامر . ولقد جاء واحد من أقسى الشبان إلى حجرة إصدار الأوامر وسأل عما إذا كان صحيحاً أنى قد اشتركت فى

جماعة التمثيل فى برث Perth . وأعقب ذلك إنشاء جماعة التمثيل فى دمفريز والقيام بتمثيلية صامتة فى عيد الميلاد . بدأ الفريق بجماعة كبيرة من الأشرار أعلنوا اهتمامهم بالفنون المسرحية . وقد عرضت عليهم نصاً مكتوباً وقد رفضوه باحتقار وكتبوا النص بأنفسهم . ونتيجة لذلك تمت كتابة سندريللا فى أسلوب خشن ، وقد سررت لأنى احتفظت بحق التحرير والرقابة . والأختان القبيحتان كانتا الأضخم جسماً والأقوى فى الفريق . ولم تكن المساحيق ولا الماكياج مطلوباً .

فى الليلة الأولى كان جمهور المشاهدين يتكون من جميع الفتيان الآخرين من المؤسسة . وفى جو متوتر بدأت المضايقات بتوجيه الأسئلة والهتافات ضد الممثلين حتى قبل بدء رفع الستار . واستقبال سندريللا ، حيث كان يقوم بدورها شاب وسيم المنظر يتحرك حركة بطيئة ، كان جيداً باستثناء بعض الضوضاء . ولكن عندما وصلت الأختان القبيحتان ، ترتدى كل منهما «فستاناً» وكعباً عالياً وتمسك فى يدها حقيبة يد وتضع أحمر الشفاه ، انطلق الهرج والصخب والجلبة واستمر الممثلون يؤدون أدوارهم بشجاعة ، ولكن لم يستطع أن يسمعهم أحد ، وكنا نفكر بجدية فى إيقاف العرض . ولكن لم يكن هناك داع لذلك ، فالشاب الذى يقوم بدور الأخت الكبرى القبيحة لم يتوقف عن أداء دوره ، بل نزل أسفل خشبة المسرح القليلة الارتفاع وضرب أقرب فتى بحقيبتيه ، وأوقعه أرضاً على ظهره ، وعاد لخشبة المسرح وهو لا يزال يتكلم مكملاً دوره، واستقر المشاهدون واستمتعوا بالعرض .

إن حجرة إصدار الأوامر كانت المكان الذى سمعت فيه واحداً من أبهج التوسلات فى حياتى العملية . لقد كان المطلوب منا أن نتحول من مؤسسة لإيواء المذنبين الصغار إلى سجن . وفى حين كنا نغير النزلاء والمرحلة السنية إلا أننا احتفظنا بأفضل ما فى برنامجنا ، بما فى ذلك فصل الكتاب المقدس ، وبعد عدة شهور ، جاء رجل ومعه التماس لبدء عقد اجتماع صلاة . فسررت وأخبرته بذلك ، وقال إن ستة أو سبعة رجال أرادوا أن يجتمعوا فى حجرة الراعى كل يوم خميس الساعة السابعة مساءً . وعندما سألت عن اليوم والتوقيت قيل لى « الخميس الساعة السابعة بداية الانطلاق ، وهذا يعنى أنهم إذا أتوا لاجتماع الصلاة فلأنهم يعنون ذلك حقاً » .

وبعد ٩ سنوات فى دمفريز رُقيت ونُقلت إلى كورنتون فيل (Cornton Vale) ، السجن الوحيد في اسكتلندا للنساء . ووجدت أن التحول من مواقف تتم فيها كل التعاملات مع الرجال إلى مواقف يتم التعامل فيها أساساً مع النساء - شيء غريب -كان استتباب النظام أمراً أكثر سهولة ، وكان من الأشياء النادرة أن ترى سجينات يذهبن إلى أعمالهن بدون معاناة كبيرة . وقد شعرت بالارتباك لأجد نفسى فى عالم تعتبر فيه فترة ما قبل الدورة الشهرية مشكلة معروفة فى هذا الوسط النسائى . لقد مرت علىّ أوقات فى (كورنتون فيل) كنت أشعر فيها بالخجل لكونى رجلاً . ولذا فإن عددا كبيراً من النساء والبنات اللاتى جئن إلينا كن ضحايا للرجال . لقد أُسيئت معاملتهن وتحملن آثار هذه المعاملة التى أحدثت ندوباً فى شخصياتهن ، كان عدد كبير منهن لا يدركن قيمة شخصياتهن ، وقد لجأ بعضهن إلى تعريض أنفسهن للتشويه الجسدى بالبتر.

لقد شعرت بحزن بسبب ذلك ، وأيضاً بسبب حقيقة أنه بالرغم من العمل الذى يقوم به القسيس والشمامسة إلا أن عدداً قليلاً من النساء أظهرن اهتماماً بالأمور الروحية .

ربما قضيت فى كورتون فيل أسعد أوقات خدمتى . كانت هيئة العاملين حريصة وتفكر باهتمام فى ما تقوم به من أعمال وتهتم حقاً بالمهام الملقاة عليها . وكان عدد لا بأس به من العاملين مؤمنين حقاً ، وقد كان ذلك واضحاً . وجميعهم بغض النظر عن إيمانهم أو عدم إيمانهم ، يذكروننى على الدوام بالحاجة لإظهار العناية والاهتمام بالناس من حولنا .

لقد وضعنى الله فى قسم خدمة المساجين وهو الذى أعطانى القدرة والحكمة لأن أتعامل معهم . كانت أمامى جبال من العوائق ولكنها أزيلت . وبالرغم من أن التجارب كانت حقيقية إلا أن حضور الله كان متجلياً من خلالها . وقد شعرت بأوقات من الفرح بصحبة الرب لى .

{ ٤ }

كـــاى ريـــــد

« لقد قررت الذهاب إلى أدنبرة للبحث عن عمل هناك » .

« هل سنأتى أنا والأطفال لنعيش أم سنأتى عند ما نجد عملاً ؟ .

« إنى ذاهب لوحدى . فهذه نهاية « علاقتنا » ، لن أتقاتل معك لأجل الأولاد . لا أريد شيئاً من البيت باستثناء ملابسى وبعض المتعلقات الشخصية القليلة . وملكية البيت سوف تكون باسمك وسوف أرحل بأسرع ما يمكن » .

عندما استدرت للتأكد مما سمعت ، كان أطفالنا قد وصلوا من الكنيسة مع صديق لهم ، وقد قضوا الأمسية معنا بضحكاتهم البهيجة وهم ينظرون فى « البوم » الصور الذى يحوى صور زواجنا . واشترك زوجى معنا وهو يشير لبعض الصور المضحكة وهو يحكى قصصاً عن الصور أمامهم . وانتقل فكرى بسرعة من الحديث الذى دار بيننا منذ قليل إلى هذا المشهد العائلى والأحداث التى مرت بنا طوال السنين العشر الماضية .

ودارت الفكرة فى رأسى : « كل شئ قد انتهى ! كل شئ قد انتهى ! ما الذى سأفعله ؟ ». أردت أن أصرخ فيهم ليصمتوا ليتيحوا لى فرصة للتفكير . ولكنى ابتسمت ، وعملت القهوة والشاى وغسلت الصحون .

كنت أذهب إلى الكنيسة ومدرسة الأحد منذ صغرى . كان والدى يأخذنى إلى الكنيسة وكانت أمى تظل فى المنزل . لم يكن كلاهما مسيحيين ولكنهما كانا يعتقدان أنه من الصواب أن يأخذا الأطفال إلى الكنيسة . ومنذ سن الرابعة ، كنت أدرك أن الله قد هيأ لى شيئاً خاصاً لأعمله . أردت أن أجده ، ولكن لم يستطع أحد أن يخبرنى كيف وأين . فى سنة ١٩٦٠ ذهبت إلى هيئة

الشبيبة للمسيح وسمعت أنه يمكن أن أعرف الله وأكون ضمن أهل بيت الله ، وأنه يمكن أن تكون لى علاقة حقيقية معه ! ذهبت بعد الاجتماع إلى الأمام وطلبت من الشباب أن يخبرونى كيف أعرف الله ، جلست إحدى البنات معى واستخرجت شواهد من الكتاب المقدس توضح أنى إذا طلبت من الله أن يدخل حياتى - وقبلته - فإنه يدخل إلى الداخل ويسكن معى، ويغفر خطاياى ويجعلنى ابنة له . وبعد أن صليت صلاة بسيطة جداً طلبت من يسوع أن يعفو عنى وأخبرته أنى أريد أن أسلم حياتى له . دعوته ليأتى ويسكن فىَّ ليغيرنى . كنت أبلغ من العمر ١٢ سنة . لم أشك مطلقاً أنى ابنته ، فقد أرشدنى وساعدنى وكان رفيقى الدائم وصديقى، إن لى علاقة رائعة معه .

الزواج ... الأيام الحلوة والمرة :

فى عام ١٩٧٢ تزوجت رجلاً محبوباً . كان متفهماً ، رقيقاً ، متعاطفاً ، وكان يحب الرب وأراد أن يخدمه . وقد شكرت الله على هذا الرجل ولأجل المحبة التى كانت تؤلف بين قلبينا . وقد باركنا الله بإعطائنا أربعة أطفال : ثلاثة أولاد وبنت . وبعد أن كافحت لأجد عملاً فى المنطقة التى نسكن فيها ، انتقلنا جنوباً حيث عشنا عدة سنوات ، وأثناء تلك المدة التحق زوجى وأنا بمنهاج التدريب على التلمذة للمسيح لمدة ستة أشهر فى كنيستنا ، واشتركنا فى الخدمة للأطفال ، وفى مدرسة مسيحية وفى الاستشارة والعلاقات المنزلية . ووضع تحت رعايتنا طفلان لنقوم بتربيتهما ورعايتهما لمدة ست سنوات ونصف ، وطفلان آخران لمدة ستة أشهر . وجاء إلينا العديد من المراهقين والمراهقات لطلب العون وكانوا فى كثير من الأحيان يعيشون معنا لمدة قصيرة حتى يستطيعوا التأقلم على الحياة . كان برنامج حياتنا مليئاً ومثيراً وممتعاً . وباركنا الله ورأينا تدبيره العجيب ومعونته . وأحياناً كنا نجد حاضنة رقيقة للأطفال ، لنهرب أنا وزوجى بعيداً لنقضى العطلة الأسبوعية معاً . كان يبدو أن الناس تغبطنا وتحسدنا على هذا الزواج .

وبعد ذلك بعشر سنوات ، فى عام ١٩٨٢ ، عندما كان عمر أطفالنا يبلغ ٩ ، ٧ ، ٦ ، ٤ ، اكتشفت أن زوجى على علاقة غرامية مع ابنة صديق لنا ، فانهارت حياتى أمام عينىَّ ، وشعرت بالعار والخجل لأنه خان زوجته وعائلته وأصدقاءنا . ذهبت إلى الرب وأنا أشعر أنى

مريضة ، فى البداية لم أكن أستطيع حتى أن أصلى أو أقرأ كتابى المقدس . جلست فقط وبكيت ، ثم انهمرت الصلوات التى كانت محفورة فى ذاكرتى « يا أبى ، إنى لا أعرف ما أقول . أنت تعرف كل شئ . أنت تستطيع أن ترى قلبى . إنى أريد أن أقتله . أربد أن أكرهه وأضربه أو أضرب الكلب أو القطة . يارب ، إن هذا لن يؤدى إلى أى نتيجة بل يؤدى لارتكابى ذنباً . يا ألله ساعدنى لأفعل الصواب . ساعدنى لأتحرك بدافع وبروح مضادة للروح التى تحركه . لا تدعنى أتصرف بالجسد بل ساعدنى لأكون مثلك حتى لا يفسد أطفالى ويتم إنقاذ زوجى ». وبالتدريج بدأ الألم يخف وبدأت أرى الموقف بصورة أكثر عقلانية وموضوعية ، تماماً كالمرضة التى تجنب نفسها التورط العاطفى مع أحد المرضى . وتمت مواجهته من قِبل المؤمنين من الأصدقاء والصديقات ، بشأن تلك العلاقة العاطفية .

فابتدأ يحتج معلناً براءته بدموع ويعلن ضعفه وعدم قدرته على الصمود أمام التجربة وقال : « لم أستطع تجنُّب ذلك . لقد أغرتنى ! ». وبعد أن وافق على الذهاب للاستشارة اعتذر عن علاقته بتلك الشابة ، وهو يؤكد أن ذلك لن يحدث ثانية . فصفحت عنه وحضرت معه الاستشارة . كان زواجنا ناجحاً لدرجة أن كلينا كان يفعل كل ما فى وسعه لتصويب الأمور ، لتنقية حياتنا من الشوائب وإنقاذ زواجنا ، وبذلك نمجد الله فى حياتنا . ذهبنا لنرى راعى كنيستنا واستشارى الزواج .

أخبرنى أحد المستشارين أنى كنت زوجة متمردة وغير خاضعة ، وأنه كانت هناك خطية فى حياتى . وقد أخبرت ، إن هذا هو السبب الذى جعل كل شئ فى علاقتنا الزوجية يسير فى اتجاه خاطئ ، وأن الله يعاقبنى على موقفى وقساوة قلبى .

وقد أصابنى هذا القول بالصدمة ، فتبت عن كل شئ كنت أفكر فيه وطلبت المغفرة . ولكن فى أعماق قلبى لم أستطع أن أصدق أن الله يمثل هذه الطبيعة التى تميل للانتقام بهذا الشكل . راجعت كل التعليم الذى درسته فى برنامج تدريب التلمذة للمسيح عن قلب الله كأب محب ، وقرأت فقرات رائعة عن محبة الله لى وغفرانه ووداعته . ومن خلال ألمى ، بدأت أرى قيمتى فى نظر الله ، وأنه ليس إلهاً منتقماً رهيباً يجلس وفى يده سيف وعلى استعداد أن يضربنى به ويضرب كل الذين أحبهم بسبب أتفه الأخطاء التى ارتكبتها .

استمرار الكفاح :

حاولت إرضاء زوجي وحاولت أن أستميله . ولكي أضاعف من الوقت الذى أخصصه له تخليت عن عملي مع الأطفال . بدأت أصوم وأناضل في عذاب أمام الله ، رجوته أن يغيرني ويجعلني زوجة أفضل لهذا الرجل الذى اختاره لي . وبدت علاقتنا أفضل مما كانت عليه لمدة وجيزة . وتحسنت الأمور ، وشكرت الله على ذلك ! وبدأت بالتدريج أثق في زوجي مرة أخرى فطمأنت نفسي بالقول : « كل زواج يمر بأوقات عصيبة » .

وفي إحدى الأمسيات في العام التالي ، بينما كنت أقشر البصل ، أخبرتني ابنتي الصغيرة عن الأشياء التى كانت قد رأت والدها يفعلها مع امرأة أخرى ، لقد اختلط عليها الأمر وظنت أنها مخطئة لأن والدها أخبرها ألا تحكي لأحد عما حدث ، وها هي تخبرني بكل شئ . وكم أنا شاكرة لهذا البصل ، فقد أخفى الدموع الحقيقية التى ذرفتها حين كانت عائلتي تضحك بسبب عيني المغرورقتين بالدموع من جراء تقشير البصل . فقررت أن أتمهل ، وأخذت أراقب وأستمع ، وبعد أن قرأت في مكان ما أن أفضل تدريب هو البحث عن الحقائق بدلاً من القفز نحو التوصل لاستنتاجات سريعة ! كنت مقدمة على القيام ببعض التدريبات لأرى ما الذى يمكنني أن أبحث عنه من حقائق .

قادني الفحص الهادئ والترقب لاكتشاف أنه قد كان لزوجي علاقـــات عاطفية أخرى في حياته ، وفي بعض الأحيان كانت هناك أكثر من علاقة في وقت واحد .

وهنا شعرت بالانهيار ! وسادت الناحية الشخصية واكتسحتني بالمخاوف والشعور بالذنب . ما هو الخطأ الذى ارتكبته ؟ هل أنا امرأة عديمة النفع للدرجة التى لا تجعل هذا الرجل سعيداً ؟ لمن أذهب فيقدم لي يد المساعدة ولا يضع فوق رأسي سيلاً من الاتهامات ؟ انتظرت هذه المرة ، وطلبت من الرب أن يقودني إلى شخص يقدم لي معونة حقيقية ويساعدني ، وإن كان ممكناً يساعد زوجي أيضاً . ثم تعرفت بامرأة جميلة وعاقلة كان لديها الكثير من الخبرة في مجال تقديم الاستشارات . وتوطدت معرفة كل منا بالأخرى ، وشعرت أني يمكن أن أثق بها ، فبدأت أشركها اهتماماتي . وكانت هي متفهمة تماماً . لم ترفع إصبع الاتهام أو الإدانة في وجهي .صلينا معاً كثيراً وقد طلبت هي من الله أن يهبها حكمة وهي تساعدني في التأمل في موقفي .

قرأت كل شئ عن مشكلاتى فى الزواج وحاولت مرة أخرى الاستجابة لحاجات زوجى ، وأن أجعله سعيداً ، وأن أجعل علاقته مع الأطفال قوية ، وأحتفظ بمنزل مستقر للأطفال الثمانية الذين يعيشون معنا . قرأت كتباً عن العلاقات وكيفية جعلها أفضل . تعلمت أحدث وسائل الطهى . قمت باتباع نظام غذائى معين ، ومارست التمرينات الرياضية وارتديت ملابس أفضل . وعندما عملت ذلك اتهمنى بأنى على علاقة عاطفية مع شخص آخر وصفعنى على وجهى ، قائلاً لى إنه من الأفضل لى أن أتجمل له وحده وأتصرف كزوجة حقيقية وأتوقف عن مغازلة الرجال الآخرين !

اليـــأس :

وهنا أدركت أنى لست ملومة . فلم أستطع أن أفعل أكثر من ذلك لأجعل زوجى سعيداً أو لأجعل زواجى ناجحاً . قرأت الكتاب المقدس وتعلقت بالمواعيد التى وجدتها فيه لأنى أدركت وقتها أن معنوياتى منخفضة جداً حتى أنى حاولت تقريباً أن أدفع مالاً لله ليعمل لأجلى ، وقلت فى نفسى لو دفعت عشوراً أكبر ، فهل ذلك يجعل الله يباركنى ؟ أو إذا صُمت ، فهل ذلك يجعل الله يعرف أنى جادة ويباركنى ؟ وفى أحد الأيام الرهيبة ، وضعت كتابى المقدس على الأرض ووقفت عليه وصحت قائلة « ها أنا يا ألله واقفة على مواعيد الله ! وأنا لا أعرف ماذا أفعل خلاف ذلك » وبكيت .

من الظاهر ، كنت أبدو قادرة على التكيف والتغلب على مشكلاتى . فكنت لاأزال أضحك وأخدم وأعلّم فى المدرسة ، ولم يكن الأطفال باستثناء ابنتى يعلمون بحالتى أو بخيانة والدهم . كان كل شئ يبدو عادياً وصحيحاً كما تعلمت أن أرتدى قناعاً وأتصرف تصرفاً سليماً . ولكن من الداخل ، كنت خجلة من نفسى ومن فشلى فى زواجى . ولما شعرت بالألم طوال الوقت ، وجدت مشاعر الذنب تكتنفنى من كل ناحية وبدأت صحتى تنهار وأصبحت مريضة مرضاً مزمناً . وأحياناً كنت أرحب بالألم الجسدى لأنه كان مألوفاً ، ويمكن تفسيره والتعامل معه ، وكان يبعد تفكيرى عن الصدمة التى بداخلى . كنت أبكى وكان الناس متعاطفين معى دون أن يعرفوا السبب الحقيقى لدموعى .

كانت كل عائلة زوجى تعيش فى اسكتلندا . وعندما ماتت أمه ، عاد للمنزل بعد الجنازة

وأعلن أنه يريد أن يعود إلى اسكتلندا ليكون قريباً من عائلته ، فبعنا بيتنا وبعضاً من أثاثنا ، وانتقلنا إلى وسط اسكتلندا . كان من الصعب أن نجد مكاناً لنعيش فيه فى بادئ الأمر ، ولكننا وجدنا بيتاً صغيراً عشنا فيه كلٌ في طابق، أحدهما فوق الآخر ، لمدة عام . وكان الأطفال يذهبون للمدرسة وبدأ البحث عن عمل .

بهذه البداية الجديدة ، وحيث لم يكن أحد يعلم عن مشاكلنا الزوجية ، كان يبدو الأمر واعداً ومبشراً بالخير . وقد تزايد فيَّ الأمل أنه فى هذا الوقت فإن الله سيجرى معجزة ، وأن هذا سوف يكون الفجر الذى سوف يعيد المياه إلى مجاريها ويعيد زوجى إلى علاقة وثيقة مع الرب ، ولكن لم يحدث هكذا . فقد أصبح يسئ معاملتى بكل الطرق الممكنة ، وهو يلومنى طـــوال الوقــت « لإجباره » على إساءة معاملتى . وذهب إلى الكنيسة ليختلف فقط مع القيادة لأنهم لم يسمحوا له بتولى منصب قيادى ، على الرغم من مواهبه الظاهرة وخبرته . إنها القيادة الحكيمة ! وقد تحير الأطفال من موقف الكنيسة ومن غضب والدهم بسبب « الظلم » الواقع عليه. وبالتدريج بدأوا يتساءلون ، ولكن الأب لم يعجبه ذلك واتهمنى بأنى حولت موقفهم ضده .

وفى مرات كثيرة ، طلبت من الله أن يموت . وبالرغم من نظام حياته الخاطئ ، فقد كان مسيحياً . فلو مات سيكون سعيداً ، ونتحرر نحن منه . ولم أفكر مرة واحدة فى الطلاق . لقد تعهدت أمام الله وفكرت فى أن الطريقة الوحيدة التى يمكننى بها أن أخرج من المأزق الذى وضعتنى فيه هذه التعهدات هو أن يجرى الله معجزة أو يموت زوجى . وحيث أنى كنت مقتنعة أن أطفالى سوف يكونون هدفاً له إذا متُّ أنا ، فقد طلبت من الله أن يحفظنى حتى يشبوا ويكبروا ويصبحوا فى مأمن من الخطر الذى يمكن أن يلحق بهم .

أمل ومستقبل :

خلال هذا الوقت ، صليت أن يرينى الرب كيف أستعيد قوتى فيه حتى أكون صحيحة جسمياً وعاطفياً وروحياً . وقبل أن ننتقل شعرت أن الله أعطانى الوعـــد الوارد فى (إر ٢٩ : ١١) « لأنى عرفت الأفكار التى أنا مفتكر بها عنكم يقول الرب ... لأعطيكم آخرة ورجاء » . لقد بذلت جهداً لتصديق هذه المواعيد . ولحب أبى لى فقد أعطانى تأكيداً بعد الآخر . لقد وصلتنى

نفس هذه الآية على يد ثلاثة أشخاص مختلفين من ثلاث دول مختلفة ، ووصلت جميعها في نفس اليوم ! أخبرتني طفلة أنها ظلت تصلي لأجلي ، وعندها آية لتشركني فيها . وكانت نفس الآية . وبدأ الرجاء ينمو فيَّ على الرغم من الجدوب .

وبعد عام في مايو ١٩٩١ ، سكنَّا في بيت كبير وقبلناه بفرح عظيم ! وكم استمتعنا بالحرية في المساحة الكبيرة التي تميز بها البيت . وفي بداية شهر يونيو أخبرني زوجي أنه كان مسافراً !

لقد صُدم الأطفال ، بعد أن أصبحوا جميعهم في سن المراهقة الآن ، أن يخبرهم أبوهم ببرود بما فعله ، وبخططه ، وأنه لا يريدهم ، وأنه سوف يتركهم ليبدأ حياة جديدة يستقل فيها عنهم . كانوا غاضبين ، ومجروحين ، ومضطربين ، وقد اكتنفهم الخجل لأن أباهم الرائع المستقيم لم يكن عند حسن ظنهم به . وقد شعروا بإحساس مرعب أنهم مرفوضون . انتقل الأب إلى شقة ،تاركاً إياي والأطفال نلعق جراحنا ونبدأ مهمة إعادة بناء حياتنا من جديد . وبعد شهور قليلة ، كان يعيش مع صديقته ، وما أن تم الطلاق حتى تزوجها .

لقد كان انطباع أولادي عن الطلاق كما لو كانوا يريدون أن يقولوا « نعتقد ياماما أنك سمعت عن المناديل التي يتم التخلص منها ، والقفازات التي يمكن إلقاؤها - حسناً ، إنك الآن زوجة تم التخلص منها! » .

أما أنا فقد « ركنت » قلبي على الرف ، ثم بدأت أعمل على استقرار أبنائي وتعليمهم مبادئ الصفح واقترابهم من أبيهم السماوي . وكنت أمشي لمدة ساعات مع أحد أبنائي الصغار المجروحين ، أستمع إليه وأحتضنه وأصلي لأجله . لقد صبوا غضبهم وإحباطهم عليَّ ، وهم يختلفون معي ويسبونني ويتهمونني ثم يبكون ، ثم يمسكونني طالبين مني الصفح عنهم . وبعد مضي مدة من الزمن أنشأوا علاقة جديدة مع والدهم ، الواحد وراء الآخر ، ودون مناقشة الموضوع مع أي شخص آخر صفحوا عنه . وقد وجدت نفسي أكافح ضد أشياء لم أكن أتصورها .

فعند تغيير بوليصة تأمين السيارة باسمي فقدت المبلغ الذي كان يمكن أن أحصل عليه كمكافأة نظير عدم المطالبة بأي مبالغ نقدية لمدة ٢٥ سنة ! وكان عليَّ أن أدفع تأميناً لإعادة توصيل التليفون باسمي باعتباري عميلاً جديداً ، مع أني كنت أدفع الفواتير سنين عديدة من دفتر الشيكات الخاص بي ! وطُلب مني عنوان زوجي السابق وموافقته عندما حاولت أن أفتح

حساباً باسمى . وعلى الرغم من أنه كان معروفاً فى المدرسة أنى كنت مطلّقة وأنى الوصية الوحيدة على الأطفال ، كان علىَّ أن أصرّ أن يتصلوا بى عند ظهور مشكلة بدلاً من زوجى السابق . وقد خضعت لسيل محرج من الأسئلة عن حياتى الخاصة لأحصل على إعانة دخل ، وكان علىَّ أن أخوض فى تلك العملية المهينة للحصول على بعض السلف التى تبقى لوقت قصير قبل أن أستلم العمل .

معزولة داخل الرابطة الكنسية :

فى الكنيسة وجدت أنهم يعاملوننى بشك وريبة ، عندما عرفوا أنى منفصلة أو مطلقة ، فعدد كبير من المسيحيين لم يفحصوا الكتاب المقدس ليروا ما قيل حقاً عن الطلاق ، ولذلك فلديهم فكرة غامضة عن الحقوق المترتبة عليه أو المضار التى يلحقها بالأفراد المطلقين . فبعضهم كان يرى أن أى مركز قيادى يمنح لى يعتبر خطأ ، وقال آخرون إننى إذا تزوجت ثانية فزوجى الثانى يعد زانياً وأنا كذلك . ولأنى شعرت أنه محكوم علىّ بحياة العزلة وعدم القبول ، فلم أكن على استعداد لتبرير نفسى أمام أى إنسان ، لأحكى له عن ظروف طلاقى . ووجدت أن التسامح والمحبة والتفهم لموقفى أقل منه فى الكنيسة عنه فى العالم الخارجى .

وفقد ابنى صديقتـــه لأن أمها أرادت أن تحمى ابنتها من « خطايا الآباء » التى تورث للأبناء . وقيل لى إن « من شابه أباه فما ظلم ! ». ووجدت نفسى أنتقد لمصادقة عدد كبير من الشبان ، وقد نظروا إلىّ بريبة لو تجرأت وضحكت أو قلت إحدى النكات لشاب ، ولكن الشبان أسرعوا لنجدتنا ، ولم يخشوا صداقتنا ، وصلوا لأجلنا وزارونا وجعلوا الحياة تبدو « عادية » بالنسبة لنا .

وكم كان قاسياً علىَّ أن أدرك أن الأزواج كفوا عن دعوتى لبيوتهم ، وكانت السيدات يتحركن بسرعة للانضمام إلينا إذا تحدثت مع أزواجهن . ما الذى كانت أولئك السيدات التعيسات تعتقدن أننى سأفعله ؟ فالذين كانوا فى مثل عمرى كانوا يشعرون بالحرج لأن يكونوا معى لأنهم لم يكونوا يعرفون ما يقولونه .

وأسوأ ما فى الأمر أنه لم يكن أحد يلمسنى أو يشجعنى بالتربيت على الكتف ، وكل ذلك

كان يؤكد لى أننى نجسة ، ولا يصح أن تلمس ، وليست صالحة ! كنت أشعر بالخجل لطلاقى ، ولكننى كنت أشعر سراً بأننى أحسّ بالارتياح لأن زوجى السابق خرج من حياتى ، ومع ذلك كنت أشعر بالذنب لإحساسى بذلك .

بعد أن طبعت هذه الآية الموجودة فى سفر إرميا ، وضعتها على دولاب ملابسى حيث كنت أستطيع أن أراها دائماً .

المراحم الإلهية العظيمة :

لقد شفى الله أطفالى من الجرح الذى أصابهم ، وكان يطلق مواهبهم من عقالها . وكم شعرت بالابتهاج عندما أخبرونى واحداً وراء الآخر أن أباهم السماوى قد فتح عيونهم لما حدث فى العائلة ، وأراهم كيف أسيئت معاملتى . وقد طلب كل منهم الصفح بسبب غضبهم واتهاماتهم، لم يعد أولادى يشعرون بأنى زوجة تم التخلص منها ، لقد استطعنا أن نتعلم مبادئ الصفح عملياً . وما أن استقرت عائلتى وقلّت الضغطوط إلا وبدأ الجرح الذى وضعته على الرف يبرز مرة أخرى . لقد جاء الدور علىّ لأُشفى من جروحى .

بعد مناقشة موضوع الطلاق مع آخرين اجتازوا فيه ، بدأت أدرك أنى كنت أفكر بأسلوب كاد يدمرنى . وحتى علاقتى مع الرب قد تغيرت . لم أكن متأكدة أنى يمكن أن أثق فيه فى مجال الصداقة والعلاقات . وبعد أن تبت عن شكوكى ومخاوفى ، بدأت فى تكوين صداقات من جديد . وعلى مر الأيام استطعت أن أصل لدرجة المصارحة مع واحد أو اثنين كنت أستطيع أن أثق فيهما . وفى صباح أحد الأيام ، وأثناء فترة التأمل الروحى ، وضعت كل مخاوفى وجروحى وغضبى وأحلامى المهملة ، ورؤيتى غير الواضحة ونقصى أمام الرب ، طالبة منه أن يساعدنى ويفك قيودى وأن أسلم إليه حياتى من جديد . طلبت منه أن يجمع كل شظايا حياتى الداخلية المبعثرة معاً ليجعلنى صحيحة وسليمة . كنت أعتقد أن ذلك يعد نقطة تحول بالنسبة لى . لقد عمل أبى المحب الشئ الكثير ليعيدنى إلى الكمال . ولا أدَّعى أن كل شئ قد أصبح على ما يرام بالنسبة لنفسى . فالمخاوف لا تزال تكتنف علاقاتى بالآخرين ، هل يمكن لأحد أن يحبنى حقاً لشخصى وليس لما يمكن أن أعمله لأجله ؟ ولمواجهة فكرة أننى يمكن أن أضطر للعيش بمفردى

بقية حياتى كان عليَّ أن أواجه صراعاً دائماً . ولازلت أقاتل ضد مشاعر العار والإدانة لكونى مطلقة ومسيحية فى نفس الوقت . فقد مرَّت عليَّ أيام كنت أرى فيها أن الموت هو الاختيار الأسهل . ولكنى ... أنهض الآن بأسرع مما كنت أفعل فى الماضى ! . قال لى أحد المرسلين الكبار ذات يوم « إن الشيطان قد يلقيك أرضاً ، ولكن لا تظلى فى مكانك لتجعليه يمسح قدميه فيك ! » . وبمضى الوقت تعلمت أن أفرق بين الحقيقة الإلهية والأكاذيب التى يهمس بها الناس والتى يسهل تصديقها . وقد تعلمت أن أتمسك بالرجاء ثانية فى كل شئ . إن الله قد أعد لى مستقبلاً ، لقد كبر أفراد عائلتى الآن ، وقد تزوج الابن الأكبر زيجة سعيدة . ويدرس ثلاثة من أولادى فى الجامعة وهم مستقلون عنى . وواحد لا يزال يعيش معى فى المنزل ، إنهم سعداء ، وشبان آمنون على مستقبلهم ، محبوبون ومحترمون من قِبل زملائهم ومعارفهم . وإنى ممتنة لله امتناناً عظيماً على تدخله فى حياتهم .

{ ٥ }

كينيث ستيفن

هناك معركة تدور رحاها ، وهى معركة خطيرة أيضاً . إنها معركة لكسب قلوب الناس وعقول الملايين من عامة الناس الذين يتأثرون بالموسيقى التى يسمعونها ، والأفلام التى يشاهدونها والكتب التى يقرأونها . وحيث أنى كاتب ، فإن الكتب بالذات تمثل جزءاً رئيسياً من اهتماماتى ، ولكنى أعلم جيداً أن ما يحدث فى عالم النشر مرتبط بما يعرض على شاشة التليفزيون ، وما تنتجه هوليوود ، وما تروجه صناعة الموسيقى . وفى إطار هذه الشبكة العملاقة أجد شيئاً مخيفاً وغادراً يكمن فيه خطر التأثير السيئ على كل أشكال الفنون وخاصة أن المسيحيين وغيرهم فى عالم الفنون ممن يقفون ضد هذه الاتجاهات السائدة ، مُبعدون عن عمد من قِبل أولئك الذين سيطروا على الحركة السائدة . هذه هى المعركة التى أخوضها .

وتصف هذه القصة بعض الجراح التى أصابتنى ، وعظمة الله الذى أعالنى خلالها ، حتى فى أحلك الأيام حين كنت لا أكاد أشعر بحضوره .

لقد نشأت فى بيئة ريفية فى بيرث شاير (Perth Shire) على يدى والدين مسيحيين متحابين . ومنذ نعومة أظفارى ، أستطيع أن أتذكر أنى كنت أصلى كما كان والدىّ يصليان لأجلى ، إن اتخاذ يسوع كصديق تأكد عندى بمرور الأيام حتى وأنا لم أزل بعد صغيراً ، كان يبدو لى أن تسليم حياتى له من الأمور البديهية فى العالم . لقد بدأت ممارسة الأنشطة المسيحية منذ أيام الدراسة . ومن بين الأشياء ذات الأهمية الخاصة بالنسبة لى كانت تلك الجماعات التى تقوم بالتبشير من منزل إلى منزل والتى أنشأها والدىّ وكانا يشاهدانها فى المجتمعات العديدة التى عشنا فيها فى عصور مختلفة . كنت أستمتع بالصراع مع المشكلات الكبرى ، وبالكيفية التى تظهر الإيمان كشئ متحرك وليس كشئ ثابت ، بل ينمو دائماً ويكتمل من خلال الصراعات والتعلم .

بيت ملئ بالآلات الكاتبة :

كان والدىّ كلاهما كاتبين . كان والدى يكتب دائماً ليكسب لقمة العيش ، وعندما بلغت سن المراهقة نشرت أمى أول كتاب لها . ولذلك فإن صوت الآلة الكاتبة كان من الأصوات المألوفة فى المنزل فى سنوات تنشئتى ، وعندما بلغت الثالثة عشر من العمر أو نحو ذلك كنت أناضل لاستخدام آلة كاتبة بنفسى عندما أشرفت على إنتاج أول رواية لى .

كانت أيام الدراسة ، وبنوع خاص فى الفترة من أواخر المدرسة الابتدائية حتى أوائل فترة المدرسة الثانوية ، غير سعيدة حقاً . جعلتنى البلطجة الفكرية والفتونة الجسمية أنكفئ على ذاتى ، وكان هذا يعنى أن عالم الخيال الذى كنت أعيش فيه يزداد قوة من يوم إلى آخر . وفى الوقت المناسب ، ابتدأ ما أكتبه من شعر ونثر يتعامل مع المعاناة ذاتها ، مما كان يعكس الألم الذى كنت أشعر به والألم الذى كنت أراه فى عيون الآخرين . الرواية الأولى التى أكملتها تدعى (The Unborn) « من لم يولد بعد » ، كانت فانتازيا (الخيال الجامع) ، ومع ذلك فقد كان مضمونها عن موضوع واقعى جداً وهام . فقد كانت تحكى قصة أطفال من هذا العالم ، الذين بعد أن أخفقوا فى مهمتهم ودمرهم المجتمع ، ولدوا من جديد فى بلد حيث ظلوا رهن مخاوفهم الخاصة ومرارتهم ، مع علمهم التام بما جاء بهم إلى هناك . تحكى الرواية عن رحلة شبيهة برحلة أورفيوس ، فهى تحكى عن طفلين عملا على تحرير أهلهم من قيود الظلام ، إنها تتناول طبيعة الحياة الثمينة التى وهبها الله للبشر ، والظلام المخيف الذى آلت إليه تلك الحياة والتى تحاول الإنسانية تخفيفه ، وفى عام ١٩٩٢ ، السنة التى نشرت فيها القصة أخيراً ، فقد عانيت صعوبة فى نشرها بسبب المضمون المسيحى لها ، وقد وضع اسمى فى قائمة قصيرة ومنحت جائزة ديو جلوريا (Deo Gloria) .

كانت كتابتى تختلف عن كتابات والدىّ ، ففى حين كانوا معنيين تماماً بما لا ينتمى للقصص الخيالية ، مع إنتاج المقالات والدراسات التاريخية ، كنت أنا أسبح بعيداً فى عوالم أخرى ، حيث أقتل التنانين وأجلب الكنوز . أعتقد ، بادئ ذى بدء ، أن هذا النوع من الكتابة كان هاماً جداً بالنسبة لى ، بسبب ما كان يحدث خارج بيتنا . فحيث إنى قد تعرضت لسوء المعاملة والإهانة فى المدرستين الثانويتين اللتين ذهبت إليهما فى (بيرث شاير) من قبل الأشقياء من الطلبة ،

فقد أصبحت الكتابة نفسها ، كمتنفس لى ، شيئاً ثميناً بحق . ففى الكتابة كنت أسيطر على ما يحدث وأتصرف بشجاعة عن طريق الشخصيات التى أخلقها ، فى حين أنه فى الحياة اليومية كنت أشعر أنى قزم ، وبلا أهمية وبلا حول ولا قوة .

ومع ذلك ، فقد بدأت أتحرك ببطء بعيداً عن القصص الخيالية وبدأت أدرك المناظر الواقعية الريفية التى أعيش فيها . ففى كتابات Seamus Heaney و R.S Thomas بنوع خاص ، اكتشفت أن الخبرة المعتادة واليومية المتعلقة بالريف أمكن أن تترجم إلى أجمل أنواع الشعر . وفى روايات Neil Gunn رأيت كيف أن المعاناة الحقيقية وكفاح الأجيال الماضية أمكن أحياؤه فى الجيل الجديد . هذا هو الاتجاه الذى أخذتنى إليه الكتابة .

المناظر العقلية :

كانت قصائدى الشعرية الأولى تستند أساساً إلى الذكريات . أردت خلق مناظر ذات صور خيالية ، وأن أجعل هذه المناظر الطبيعية مأهولة بأناس أعمالهم وأقوالهم قد أصبحت جزءاً لا يتجزأ من تفكيرى . وعدد كبير من هذه القصائد كان واضح المعالم منذ سنوات ارتباطى بالغرب والشمال ، بالعالم الغيلى ✪ .

كانت القصائد ترد إلى خاطرى فى لحظة ، وكانت واضحة لدرجة أن يدى كانت تهتز اهتزازاً محسوساً تأثراً بمشاعرى . وبالتدريج أصبحت أدرك أن هذه الموهبة كانت سيفاً ذا حدين ، وهى موهبة كلما ازدادت سبَّبت الألم والغبطة أيضاً . وفى معظم الأحيان ، لم تكن الكتابة شيئاً من قبيل الاختيار ، فالكلمات كانت تتوارد فى الرابعة صباحاً ، و « تولد » على الصفحة . ولم أكن أنا سوى العامل المساعد ، الشخص الذى ينال التكريم بإمساكه للقلم .

وبعد نشر عدة مئات من القصائد ، فى منافذ فى بريطانيا والخارج ، فإن أول مجموعة لى (Remembering Peter) (تذكر بطرس) قد ظهرت للوجود من قِبل مؤسسة الشعر القومية . وبعد مدة طويلة ، نُشرت مجموعتان أخريان ، مع مجلد من القصائد المختارة

✪ نسبة إلى الغيليين أو لغتهم (لغة السلتيين فى أيرلندا والمرتفعات الاسكتلندية (المترجم) .

ألا وهـو (The Missing Days) (الأيام الضـائعـة) وربما من أكـثـر الأشـيـاء إثارة أن ترى القـصـائد تظهـر بصـورة أكـثـر انتظامـاً فى الخـارج ، فى الولايات المتـحـدة الأمـريكـيـة وكندا واستراليا بنوع خاص . إن الله وهبنى كثيراً من التشجيع خلال هذه السنوات الصعبة .

الإمساك بالتراث :

فى تلك الأيام عندما كنت أكتشف هويتى الخاصة ككاتب ، بدأت أدرك أن لى تراثاً أيضاً ، وأن خبرتى المتعلقة بثقافة المرتفعات وريف اسكتلندا كانت ذات قيمة لا تقدر بثمن ، وأن ما رأيته وسمعته فى طفولتى كان يجب الإمساك به قبل أن يضيع من الذاكرة . أردت أن أكتب عن ثقافة الغيليين وعن أهل الشمال لأنى أردّت التعبير عن امتنانى لله لأجل كل ما هو صالح فى الوجود فى المرتفعات ، ولأجل الاحترام للأرض والحياة فيها . أردت أن أسجل بالكلمات لأحيى ذكرى أفضل الناس الذين عرفتهم فى طفولتى ، الذين كانوا قريبين من الله والذين كانوا يكنون الاحترام والحب للخليقة ، والذين كانت أعينهم تشرق عند سماع صوت سرب من الأوز يحلق فوق رؤوسهم ، وتمتلئ بالدهشة عندما تسرق عائلة من الأرانب الصغيرة آخر قطع الجزر فى الصباح الباكر .

إن الإيمان فى مواجهة المحنة والصراع بين البشرية وبين الله وبين البشر بعضهم مع البعض، كانت هى الأشياء التى أتطلع للكتابة عنها ، وأن اعبّر عن الأشياء الهامة والأساسية التى تميز الحالة الإنسانية : الحب ، والصراع ، والغضب ، والصفح ، والضحك نفسه . أردت أن أكتب عن أشياء عالمية حتى أفهم وأستطيع أن أضع جنباً إلى جنب بعضاً من الخبرة الكلية للبقاء على قيد الحياة فى هذا العالم .

الصدمة الثقافية :

ولكنى اكتشفت فى الجامعة فجأة أن مثل هذا النوع من الكتابة لم يكن مطلوباً أو «صحيحاً من الناحية السياسية» . والأدب المعاصر الذى درسته كان يصوّر خبرة الطبقة العاملة فى أدنى أشكالها وأكثرها همجية ووحشية . كان (James Kelman) « جيمس كيلمان » بطل

أيامنا ، وكان الأساتذة الذين كانوا يحاضروننا يمتدحون كتاباته ويرفعونها إلى عنان السماء ، ولم يكن الطلبة يخرجون عن هذا الخط الحزبى . وعندما كنت آخذ أفضل قصائدى إلى أستاذ الأدب الإنجليزى ، كان يمزق هذه القصائد إلى قطع طولية منتظمة . كم أحسست أنى كنت معزولاً فى ما أكتب . لم يكن لى أنصار على الإطلاق ، ووجدت أنه من الصعب أن أدافع عن الموضوع الذى أكتب فيه وعن طريقتى فى الكتابة أمام صغار الكتّاب حولى من ذوى الثقافة المدنية أساساً . لقد كان يبدو أن هناك إطاراً أخلاقياً وهدفاً بالنسبة لبعض كتابات « كيلمان » على الأقل ، ولكن ما بدا يتضح لى أنه بالنسبة للجيل الجديد من صغار الكتّاب الذين يسيرون فى ركابه لم يكن هناك هدف من أى نوع من وراء اليأس .

كنت أستطيع أن أفهم جيداً أنه كان من المشروع التعبير عن رأى آلاف المعدمين واليائسين فى الخطط والمشروعات التى تنفذ لمن هم فى قاع المدينة ، وتوضيح كيف أنهم محاصرون بدوامة تزداد سوءاً بسبب الثقافة التى تقوم على العنف ، والعصابات والجريمة التى ترتبط بإدمان المخدرات .

ولكن هؤلاء الكتّاب كانوا عدميين كلية (العدمية : مذهب ينكر أن يكون للمبادئ الأخلاقية أى أساس موضوعى ، وأن الوجود لا معنى له ولا غناء فيه) ، فهم يصورون العنف والقسوة السادية من وجهة نظر شخص مفرط فى إشباع رغباته الحسية عن طريق اختلاس النظر من ثقب الباب . ولا توجد بالنسبة لهم حلول لمشكلات العنف والمخدرات ، فالحلول تكمن فى هذه الأشياء نفسها .

طرفا نقيض :

ولذلك كانت روايتى الجديدة دان (Dan) ، تقريراً مباشراً ومتعمداً عن معارضتى لهذا النوع من الكتابة . إنها قصة اليوم الأخير فى حياة فلاح يعيش فى الجبل وهو يتجول حول أرضه ، وكل شبر من تلك الأرض يحيى فيه الذكريات ، ونعرف الأحداث التى صنعت حياته بترتيبها الزمنى ، ولاكتمال دائرة تلك الحياة نواجه أيضاً موتها . إن « دان » مرثاة لكل ما كان ولا يزال ثميناً ومحترماً فى طريقة حياة أهل المرتفعات . إن دان نفسه يصبح رمزاً لخسارة ذلك

العالم . إنها تحذرنا من الاتجاهات الخاطئة التى اتخذناها ولازلنا نتخذها ، إنها تشير للخلف ولأعلى . ويبدو لى أنه فى اسكتلندا بنوع خاص ، فنحن نرى بصورة متزايدة ثقافة وحيدة تتميز بنوع واحد من الكتابة يمثلها كتاب الـ Trainspotting « البحث عن القطار » . ولا يتمثل ذلك فى الكتابة فقط كما ذكرت من قبل . كان Trainspotting شهيراً ككتاب ثم كفيلم ثم بعد ذلك اشتهرت موسيقاه . ولكنى خائف لئلا تكون المافيا الأدبية المتنامية هى المتحكمة وأنها سوف تروّج لأعمال هؤلاء الفنانين ، وربما هو الأهم ، سوف تبعد أعمال أولئك الذين يعارضون هذه الثقافة . فعدد أكبر من الناشرين يخضع لإغراء السير فى ركاب هذا الاتجاه ، بإبراز المادة التى تلقى رواجاً فى السوق لما تشتهر به من « إحداث للصدمة » . إن هذه الكتابة الجديدة قد احتلت مكاناً بالفعل فى المناهج المدرسية .

وككاتب صغير مكافح ، أين وجدت ذاتى ؟ إن مجموعة من الأفراد فرضوا سيطرتهم على إبداع جيل بأكمله . وما يدعى بواقعية الروايات المذهبية والأفلام وحتى المسلسلات التليفزيونية كلها تتحدث عن موضوعات شخصية . ولبس كل شخص فى قاع المدينة يستخدم العنف للهروب من مشكلة أو من المواقف التى يجد أنه من الصعب التعامل معها ، وليس كل فرد يتجه للمخدرات والجريمة لأنه تعرض لمصيبة جعلته يتحمل مشقات خلفية حياته البائسة . وأن نفترض أنه يفعل ذلك ، فيبدو لى أنه نوع من التنازل والتفضل حتى لا نذكر عنه سوى القليل ! كتبت ضد هذه الخلفية ، مستخدماً (دان) كنموذج لكتابتى الجديدة ، لأكتشف فقط أن الصلاح والحب والثقة والصفح والعطف والإيمان كان ينظر إليها باعتبارها أفكاراً رومانسية من قِبل مبدعى هذا العالم « الواقعى » ، وهنا تساءلت : هل الخوف من مثل هذه الأفكار قد جعل ذوى العقول الأدبية يهمشونها ويسخرون منها ؟ يبدو أنهم يعيشون فى عالم يقلل من شأن الأشياء ذات القيمة ، ويعطى للأشياء التافهة والحقيرة مركزاً لا تستحقه .

غلبة الظلام :

إن كتب C S Lewis كانت تشكل جزءاً من أساس قراءتى فى مرحلة الطفولة . وفى مرحلة الشباب ، كنت أقدر بصورة أعمق الإدراك الحسى فى روايته « المعركة الأخيرة » ، التى

يؤمن فيها الناس فى النهاية بالظلام من حولهم ، ويكفون عن رؤية أى شئ سوى الظلام . لقد قدرتها - وارتعبت للفكرة .

فى تلك القصة ، كان الأقزام داخل « اسطبل » ضيق ، تُزال حوائطه فجأة وبصورة معجزية . والأقزام الآن يقفون فوق العشب الأخضر المورق ، والسماء الزرقاء والأشجار العالية حولهم .. ومع ذلك فهم يظلون جالسين هناك موثقين ومجتمعين معاً وعلى اقتناع بأنهم لايزالون فى قذارة الاسطبل المظلم ، ثم تقدم لهم وليمة حقيقية لإشباعهم - فطائر وأطباق من الحلوى ونبيذ - ولكنهم فقدوا القدرة على التذوق . أحدهم يقول إنه كان يحاول أن يأكل تبناً وآخر قال إنه كان يحاول أن يأكل لفت قديم ، وثالث يقول إنه كان يحاول أن يأكل ورقة كرنب . ما هذه إلا صورة للجحيم ، جحيم يخلقه الإنسان لذاته ، ولا يمكن أن تقنع أحداً بتركه رغماً عن إرادته .

تذكرت الصورة التى رسمها لويس عندما شاهدت أحد أفلام الفيديو فيما يتعلق بتأثير العنف فوق الشاشة الفضية على الصغار فى الدول الاسكندنافية . قالت إحدى البنات التى تمت مقابلتها والتى كانت تعيش فى أقصى شمال السويد فى منطقة غير مأهولة بالسكان حيث أنها عبارة عن غابة وبحيرة ، أنها ولسبب خوفها من أن يعتدى عليها فى أى وقت ، اعتادت أن تحمل زجاجة مكسورة معها حيثما ذهبت . وإذا أخبرت الناس أن ذلك الخطر محتمل فى كل مكان ، فهم إذا صدقوك فإنهم يبدأون فى أن يتصرفوا كما لو كان هذا الخطر قائم فعلاً . هذا هو العالم الذى أعيش فيه ككاتب مسيحى ، والذى أكتب لأجله ككاتب مسيحى .

الحفاظ على الأمانة :

لمدة من الزمن أحنيت رأسى للعاصفة ، واعتقدت أنه من الأفضل أن أكافح بإصرار ، على أمل أن المافيا الأدبية قد تعترف بنجاحى المحدود فى النهاية ، وتفسح لى مكاناً بين صفوفها . ولكنى أدركت حينئذ أنى مستبعد من النشر والامتيازات والحديث فى الإذاعة عن عمد . وذات مرة كلفت بمراجعة كتاب لإحدى الدور الأدبية الكبرى فى اسكتلندا ، وهى رواية بقلم أحد الكتّاب الصغار المشهورين ، ووجدت أن بعضاً منها ، والحق يقال ، مروع ورهيب حتى أنه يصعب قراءته . ذكرت ذلك فى التقرير ، وعلى الرغم من أن نقدى كان عقلانياً ومنضبطاً إلا أن المحرر

شعر بضيق شديد وكتب إليَّ ليخبرني أنه لن ينشر ما كتبته من نقد ، وسوف يوكل مهمة المراجعة لشخص آخر ، فلم تعجبه حقيقة أني قد تجرأت وانتقدت هذا الروائي الصغير الذي كان كل شخص آخر يمتدحه رافعاً إياه إلى عنان السماء .

إني أعرف أني لست الكاتب أو الفنان الوحيد في البلد الذي يشعر بأن عمله موضوع تحت المراقبة اللصيقة . ولكني أدرك الآن أني لا أريد أن أكون مقبولاً منهم ، وأن واجبي أن أقاتلهم. في عام ١٩٩٦ ، كتبت مذكرة قصيرة عن هذا الموضوع لجريدة قومية ، متصوراً أنها لن تجد القبول . ولكن مما أدهشني أن المحرر رد عليّ على الفور ، وهو يدعوني أن أكتب مقالاً لصحيفة العطلة الأسبوعية . ولأول مرة أتيحت لي الفرصة لأصف الموقف بدقة كما رأيته . ولم أعد أهتم بمن سوف يفتتح ملفاً جديداً ضدي ، لقد شعرت أني قد اشتركت في معركة وأني عبرت مانعاً مائياً كنهر الروبيكون لدخول المعركة ولن أتراجع .

ومما أبهجني أني قد تلقيت مجموعة كاملة من الرسائل التي تؤيدني على ما كتبت . وأدرك آخرون أنه قد آن الأوان لتحول المد في الاتجاه الآخر ، وأن هذه الحالة لا يمكن أن تدوم إلى ما لا نهاية . بل وقد تلقيت خطاباً من أحد الروائيين الصغار قد أشرت إلى مؤلفه بصورة غير مباشرة في المقال ، واعترف أنه لم ير أبداً الأمور في هذا الإطار وأني شجاع للدرجة التي جعلتني أكتب ما قد كتبته .

الكتابة للعالم الحقيقي :

توجد العديد من القضايا التي تتطلب أن يتبناها كتّابنا وفنانونا اليوم ، وبنوع خاص الكتّاب والفنانون المسيحيون . إننا نعيش في مجتمع تهزه أخبار الفوضى والقلاقل والألم الصادرة من جيراننا . إننا بعيدون عن إيجاد حلول دائمة لمشكلة الجوع في العالم ، ودمار مواردنا الطبيعية ، وهذه الأرض الجوهرة الثمينة التي نعيش فوقها ، بما فيها من غابات وحيوانات لا حصر لها صنعها الخالق الرهيب والعجيب .

ولهذا السبب فمن غير المنطقي أن يكون كثيراً من الإبداع اليوم معنيٍ بالعنف السادي والفانتازيا (الروايات الخيالية) القذرة الدنيئة ، والقصص وحتى الشعر يبعث شعوراً بالصدمة .

نحن نمتلك العالم حيث أنه فى متناول يدنا ، ولكننا لا نتحرك فى مواجهة الألم . فإن المجتمع ينظر إلى الداخل ، إلى الظلام الذى فيه ، ويسعى المستهلكون لاكتشاف أنواع جديدة من التسلية والمزيد من المتع التى يبعدون بها شعورهم بالفراغ الداخلى والخوف من الموت .

ولذا فالشهادة المسيحية ، قوة الملح والنور ، أمر حيوى . ولذا فيجب علىَّ وعلى الآخرين من أمثالى فى عالم الفنون ، ألا يهملوا الإبداع ، بل يستخدموه لتقديم رؤيا الأمل والتغيير . إن الله هو الذى صنع الخيال ، وعلى الرغم من أنه يمكن أن يستخدم استخداماً خاطئاً ، إلا أنه يمكن أن ينير ويلهم ويوقظ . هذه مهمتى ككاتب مسيحى . فجنباً إلى جنب مع إخوتى وأخواتى فى عالم الفنون علينا أن نكون أنبياء ، نتحدث عن الألم وعن الأخطاء التى يندفع إليها المجتمع الدنيوى وعن الموضوعات التى تهم الجماهير العريضة فى النهاية .

ولكنها معركة ، بل ومعركة منهكة للقوى كذلك ، أن تقف ضد التيار فى مواجهة أعداد كبيرة قد تطابقت وجهة نظرهم ، للحصول على الاعتراف والدعم المالى اللذين نحن فى أشد الاحتياج إليهما . وأملى أن يتكون تحالف من أفراد يتفقون فى الفكر وسوف ينضم إليهم آخرون ، وسوف يجدون تشجيعاً عندما يعرفون أنهم ليسوا وحدهم .

إن عقلية الجمهور هى التى لها الكلمة العليا فى عالم الفنون كما فى أى شئ آخر ، فإن الفنانين يحبون أن يكونوا جزءاً من الحركات ، إنهم يريدون أن يجدوا تأييداً لآرائهم وبياناتهم خاصة عندما يتجاسرون للخوض ضد المؤسسة المهيمنة على عصرهم .

إننا نحن الذين نتخذ موقفاً ضد الشر الحقيقى الذى تفشى فى عالم الفنون اليوم ، ولنا أعظم حليف إلى جانبنا ، المسيح نفسه . وليس هناك ضمان أن يكون النصر حليفاً لنا فى أيامنا أو أن نجد الشهرة ، ولكن المهم المعركة نفسها ، والموقف الذى نتخذه .

« أخيراً أيها الإخوة كل ما هو حق كل ما هو جليل كل ما هو عادل كل ما هو طاهر كل ما هو مسر كل ما صيته حسن إن كانت فضيلة وإن كان مدح ففى هذه افتكروا » (فى ٤ : ٨) .

{٦}
لينا كـوى

ولد دافيد روبرت كوى الساعة ١١ر٣٠ صباحاً فى الخامس عشر من أكتوبر عام ١٩٨٤ فى مدينة انفرنس . وقد غير هذا اليوم حياتنا بطريقة لم نكن نتخيلها . كان دافيد بالنسبة لى مختلفاً من قبل أن يولد ، فقد كان الحمل صعباً ولكننى كنت مشغولة حيث كان لدينا خمسة أولاد ، ثلاثة منهم فى سن المراهقة واثنان صغيران ، وكان علىّ أن أدير منزل القس . وكان زوجى Alex أليكس ، راعياً لكنائس كريش Creich وكنكـــاردين Kincardine وكرويك Croick فى شمال اسكتلندا . ولد دافيد قبل موعده بـ ١٢ أسبوعاً وتمت ولادته بعملية قيصرية . أتذكر تلك الليلة بوضـوح : إن رحلة عربة الإسعاف لمسافة ٤٠ ميـلاً إلى انفرنس مع كاثى Cathy & الزبث Elspeth ممرضتَى قريتنا ، كانت تبدو بلا نهاية . صليت أن يعتنى الرب بطفلى لأنى كنت أخاف عليه .

كان دافيد عمره أربعة أيام قبل أن أراه وقد صدمت عندما رأيته ، كان وجهه مغطى بضمَّادات القطن ومروحة تهوية مثبتة بشريط على خديه وأذنيه وكانت تملأ فمه . كانت هناك أنبوبة تغذية فى أنفه وأنابيب فى معصميه وساقيه . وكانت ذراعاه الصغيرتان مشدودتان من خلال فتحة الحضّانة . كان قلقاً يحاول أن يبكى ولكنه غير قادر على البكاء . أخذت أربت على ذراعيه وساقيه ، كانت ناعمة جداً ، وبعد أن شعر بالراحة رقد ساكناً ، بقيت فى مكانى حسبما سمحت قوتى بذلك .

ومع شعورى بالإجهاد أخذت أفكر فى آيات الكتاب المقدس التى كنت أعرفها ، إحداها تواردت على خاطرى « من آمن لا يهرب » (إش ٢٨ : ١٦) ، شعرت بالضيق . وعندما أحضرت لى ممرضة مؤمنة مجلة للعمل المرسلى ، غضبت وأنا أقرأ هذا النص « من آمن لا

يهرب » . ومع أنى كنت أعرف فى أعماقى أن الله هو المتحدث ، فإنى أعترف بخجل أنى ألقيت بالمجلة جانباً وأنا أصيح : « هذا ما لا أريده » .

مع أن أليكس كان يأتى معظم الأيام ، فلم أكن أتذكر أحياناً زياراته . ولم أكن متأكدة إن كان الأطفال الذين فى المنزل تقوم أم أليكس بالعناية بهم كما يجب أم لا ، كان ذلك شيئاً غريباً . كان لدى طفل ، ولكنه لم يكن فى حوزتى . كان آخرون يعتنون به وأنا أرقب ذلك . كان يبدو أن دافيد يتحسن . كان يستعمل مروحة التهوية مدة أقل حتى أبعدوه عنها وتنفس بطريقة طبيعية . ولكن فى اليوم التالى تدهورت حالة رئتيه وقاموا بتركيب مروحة التهوية مرة أخرى .

ساكناً .. ولكنه لا يزال على قيد الحياة :

عندما ذهبت لأراه صباح اليوم التالى ، أحاط الأطباء والممرضات بحضّانة دافيد . كان الطفل يرقد ساكناً بلا حراك وعلى وجهه صفرة الموت ، كدت أصرخ خوفاً من أن يكون الرب قد أخذه ، ولم تعد فى ركبتى قوة حتى تحملنى ، ولكن دافيد كان على قيد الحياة . لقد تعرضت إحدى الرئتين للتعب مرة أخرى . لم أستطع أن أفهم لماذا تخلى الرب عنى . بكيت وصليت طالبة من الله أن يساعدنى لأخضع لإرادته الصالحة من نحو دافيد . حينئذ تكلم الله من خلال كلمته : « هذا المرض ليس للموت بل لأجل مجد الله » (يو ١١ : ٤) . عرفت وقتها أن دافيد سوف يبقيه الله لاجل مجد الله . وبكيت ثانية ، ولكن بدموع مختلفة . وللمرة الثالثة تتعرض الرئتين لمتاعب قبل أن يستطيع فى النهاية أن يتنفس طبيعياً .

لم أكن دائماً أنظر إلى الله طلباً للمعونة . فمع أن أليكس وأنا قد نشأنا منذ نعومة أظفارنا ونحن نحضر الكنيسة إلا أننا ابتعدنا عن الله فى سن المراهقة . وعندما كان أبناؤنا الكبار صغاراً ، وتحت إلحاح والدىّ ، سألت مسز ستون ، زوجة الراعى ، عن المعمودية . لم تكن لدى الشجاعة لأسأل الراعى ! فرتبت مع زوجها موعداً ليزورنا ، ونتيجة لهذه الزيارة بدأت أذهب إلى الكنيسة . وجدت أنى لم أحصل على الكفاية من كلمة الرب التى كان يبشر بها القس كينيث ستون . لم يكن اتجاهى هذا مرضياً لأليكس ، الذى كان صياد سمك وقتها . ولكن الله عمل فى قلبه أيضاً . وبغير أن أعلم كان يقرأ كتاباً مقدساً قد أعطته لى مسز ستون . كان وقتاً

صعباً لكلينا ، ولكن بعد نهايته وجدنا غفراناً كاملاً ومجانياً ، وحياة جديدة فى يسوع المسيح . وبناء على علاقتنا به فإننا الآن علينا أن نتكل عليه فى وقت الحاجة .

بعد ولادة دافيد بأسبوعين ذهبت إلى البيت تاركة إياه فى المستشفى كان عمر استر ١٣ شهراً، ولن أنسى وجهها الصغير ، لم تستطع أن تصدق عينيها . وإلينور التى كان عمرها أربعة أعوام ، جلست على ركبتى ، وعيناها كانتا تتساءلان « هل أنت ماما حقاً ؟ » . كان كارل وستيفن وإيفلين جميعاً بخير ويقدمون يد المساعدة . ولسوء الحظ ، كان على أليكس أن يدخل المستشفى فى نفس الأسبوع الأول الذى رجعت فيه إلى المنزل . كم كان ذلك صعباً ، مع أنى كنت أعلم أن الناس كانوا يصلون لأجلنا فى جميع القرى المجاورة ، وقد شعرت أنى محمولة على الأذرع الأبدية . ولكن كان علينا أن نواجه حلماً مزعجاً .

لقد دق جرس التليفون ذات مساء . كنت مطلوبة بسرعة فى «ريجمور» (Raigmore) فقد أصيب دافيد باستسقاء فى الرأس ، وكان عليهم أن يجدوا دماً مماثلاً لدمه قبل إرساله لوحدة العناية المركزة الخاصة بالأطفال فى إبردين . وعندما وصلت للمستشفى ، كانت المضخة على رأس دافيد تُرى بوضوح . أمسكت بالطفل الصغير العاجز لأول مرة ، وقلبى ينفطر ودموعى تنساب على خدىّ . سلمنى الطبيب علبة من المناديل ، وقال لى « سوف تستهلكين عدداً كبيراً منها قبل الانتهاء من هذه المهمة » ، وكان محقاً . وذهب طبيب آخر إلى المصحة الملكية حيث كان أليكس لايزال مريضاً ، ليوضح له بأن جرّاح الأعصاب سوف يضع توصيلة أو صماماً فى رأس دافيد لإزالة السائل المتكون . لقد أعطانا الله شخصاً ليساعدنا فى احتياجنا الشديد . إن كين لارتر Kenlarter الذى كان وقتها راعياً للكنيسة الحرة فى Brora قد ساعدنا كثيراً خلال تلك الأزمة وخلال الشهور الطويلة التى تلت ذلك .

من انفرنس إلى ابردين والعكس :

عانى دافيد من عدة نوبات فى الطريق إلى ابردين . وقبل أن أراه كان يعالج من التشنجات وقد نام لتوه تقريباً . وكان علىَّ أن أواجه هذا الموقف لوحدى حيث أن أليكس كان لا يزال مريضاً ولا يستطيع السفر إلى ابردين . أجريت الجراحة وأعتقد أنها ناجحة ، ولكن السائل كان كثيفاً

للدرجة التى لا تمكنه من الانسياب فى التوصيلة ، وتم إرجاع دافيد مرة أخرى إلى مسرح العمليات . كان شاحباً جداً وعاجزاً . كنت أنظر إليه دون أن أستطيع عمل شئ لأجله ، لا شئ ، سوى أن أحبه وأتركه فى رعاية الرب . لم تكن التوصيلة تعمل ، وكان حجم رأسه يزداد بصورة مزعجة . كان متألماً ، وكان العذاب يصاحبه .

شعرت بالضياع والحيرة وأنى محطمة . ولكننى ظللت متعلقة بالوعد الذى أخذته من الرب فى البداية « هذا المرض ليس للموت بل لأجل مجد الله » . وذهبت لأقيم مع أليكس مكدونالد ، ثم مع راعى الكنيسة الحرة فى ابردين ، وزوجته ايفلين لقضاء العطلة الأسبوعية . وكم كانت معونتهما الرقيقة تعنى الكثير بالنسبة لى : كان الموقف سيئاً جداً ومحزناً حتى أنى أتذكر أنى سألت أليكس « هل دافيد لا يزال طفلى ، وهو هناك ؟ » .

وعلى الرغم من كل ما كان يُعمل ، لم يتحسن دافيد بل صار إلى حال أردأ . ورداً على قولى : « إذا لم تستطيعوا أن تفعلوا شيئاً لدافيد وأنه سوف يموت ، أريد أن آخذه إلى المنزل » ، فقالوا كلا ، يامسز كوى ، نحن لا نعتقد أنه سوف يموت ، ولكنك فى أحسن الأحوال سوف تحصلين على ثمرة كرنب سليمة ★ فقلت وليكن ما يكون وانصرفت ،لقد وصلت إلى الحضيض .

يوم الأحد التالى ، كان يمكن لأليكس أن يسافر ، وذهبنا إلى ابردين سوياً لدى ابننا الصغير المسكين . وعندما اضطررنا للعودة إلى المنزل لم يكن التكهن بحالة المرض مشجعاً . فاتفقنا أن نطلب من الرب بنوع خاص ، أن يجعل التوصيلة (الصمام) تعمل فى ذلك اليوم بالذات ، ليظهر قوته عند فشل الجهود والخبرة البشرية . صلى أليكس لدافيد ثم غادرنا وقد استودعناه فى رعاية الله . فى تلك الليلة عندما اتصلت بوحدة العناية بالأطفال قالوا لى « يبدو أن التوصيلة تعمل » ، وهنا خررنا على ركبتينا شاكرين الله .

تم إرسال دافيد إلى انفرنس بعربة الإسعاف بعد عدة أيام قليلة ، ولأنى لم أكن أستطيع

★ أى سوف تحصلين على ابنك سليماً دون قدرة على الحركة (المترجم) .

السفر مسافة ٨٠ ميلاً في رحلة دائرية لإطعامه ، ففي ٢١ ديسمبر ، وقد بلغ عمره ١٠ أسابيع ، تم إرسال دافيد إلى المنزل .

شعرت بالإنهاك الشديد بعد مدة قصيرة من الزمن ، وكان دافيد لايزال يعالج بمضادات التشنج ، ونام معظم ساعات النهار ، ولكنه ظل متيقظاً لعدة ساعات بالليل . كنت أقرأ في ذلك الوقت عن الملك داود ، وكان دافيد ابني يرقد بين ذراعيَّ ينظر إليَّ كما لو كان يقول : « ماذا تفعلين ؟ » ، ولذا بدأت القراءة بصوت عال ، وكان يرقد وهو يستمع لصوتي باهتمام ظاهر. وشجعني الرب كثيراً بهذه الطريقة أن دافيد سوف يتعلم .

بعد عدة شهور ، في صيف عام ١٩٨٥ ، أعيد دافيد إلى مستشفى ريجمور عقب إمداده بالسائل في رقبته في موضع دخول الأنبوبة إلى التوصيلة ، وأجريت له عملية وأصلحت التوصيلة . وعند ذلك الوقت كان مضاد التشنج قد أوقف وشكراً لله لأنه لم يعد بحاجة إليه منذ ذلك الحين . إن اسم حالة ابننا وهي Cerebral Palsy « الشلل المخي » بدأت تبرز . وقبل ذلك لم بكن يذكرها أحد . لقد قرأت كل الكتب التي وجدتها عن هذا الموضوع . كان تقدم دافيد مخيباً للآمال ، فلم يكن قادراً على الجلوس أو الحبو أو الحركة . كان أبناؤنا الكبار الثلاثة يتعذبون بهذا السؤال : « لماذا يفعل الله ذلك ؟ » . فمثل هذا الموقف الذي كنا فيه يثير المشكلات والأسئلة التي لا يمكن التعايش معها والإجابة عليها .

كان مستشار دافيد في ريجمور معيناً عظيماً ومشجعاً لنا ، وكان يشرف على كل المعدات التي كان دافيد يحتاجها في المنزل : كالمقاعد والإطارات الثابتة ، وحتى الدراجة ذات الثلاث عجلات التي كان يمكن لدافيد أن يقودها تحت مراقبة ، كما كان يجب أن يوضع حزام حوله . وكم كان يحب دراجته . ومع أن العلاج الطبيعي لم يكن مرغوباً فيه من وجهة نظره ، إلا أنه أفاد ابننا كثيراً . وقد أعطتني زياراتي إلى قسم العلاج الطبيعي لوحدة العناية بالأطفال فكرة واضحة عن المشكلات التي يواجهها والدا طفل معوَّق بدءاً من الإحساس بالمرارة والقسوة حتى مشاعر اليأس والإحباط .

ولأن دافيد لم يكن يستطيع أن يجلس أو يحبو بعد بلوغه عامين وتسعة شهور ، على الرغم من أنه كان يستطيع أن يطعم نفسه ، ذهبت أنا وإستر به إلى مركز ريدن للعناية بالأطفال في

ابردين لإعطائه جرعة مكثفة فيما يتعلق بكل أوجه العناية بالأطفال . فى ابردين فى الليلة الأولى ، ذهبنا لنتمشى فى ردهات المستشفى ، وكان أول شخص قابلناه هو الطبيب الذى حذرنى بأن ابننا سوف يكون مجرد لفة من الكرنب السليم . « يامسز كوى ، كيف حالك ؟ » « إنى بخير، شكراً » و « دافيد ؟ » . قال دافيد : « إنى بخير ، يادكتور . إنى هنا لزيارة مركز ريدن مع ماما وإستر .إنهم سيفحصوننى ليخبروا ماما كيف سأكون ، لم يقل الطبيب شيئاً ، بل نظر إلى دافيد وربت على شعره ، ثم اتجه الىَّ وقال : « يبدو أنى كنت مخطئاً » ثم انصرف .

إن الوقت الذى قضيته فى مركز ريدن قد أمدنى بكثير من المعلومات وساعدنى كثيراً فى معرفة احتياجات دافيد المستقبلية وكيفية تلبيتها . لقد قابلت العديد من الوالدين الذين مروا بنفس ظروفنا ، وقاسوا آلاماً شديدة لأجل أطفالهم . وبعضهم وجد أنه يصعب عليهم أن يتطلعوا إلى ما وراء العجز . كان عليهم أن يتعلموا أن يروا طفلهم أولاً ثم يتطلعوا إلى المشاكل الناجمة من إعاقة طفلهم بعد ذلك .

تهدئة مخاوف دافيد ... ومخاوفى :

لما وصل دافيد إلى الثامنة من العمر ، كانت قد أجريت له ٨ عمليات جراحية بعد أن أركب على عربة كهربائية لإجراء معظمها . وكنت أقيم معه دائماً ، وكان يتعامل مع كل عملية بطريقة هادئة . ولكن عندما كبر وأصبح أكثر إدراكاً لما يحدث ، انتابه الخوف فكان يقول لى : « يا ماما » اقرأى لى وصلٍ معى » . كان دافيد يحب إنشاد المزامير ، خاصة مزمور ٩ ، الذى كان يحفظه عن ظهر قلب . وفى مثل تلك الأوقات كنت أحاول جاهدة وبصعوبة بالغة حتى لا تقهرنى مخاوفى . ولو حدث ذلك ، لما استطعت تقديم المساعدة أو التشجيع لابنى . ولكن ربما كانت هناك بعض الأوقات التى كان صوتى يرتجف فيها وأنا أنشد له مزموره المفضل :

« أحمد الرب بكل قلبى . أحدث بجميع عجائبك . أفرح وأبتهج بك . أرنم لاسمك أيها العلى . ويكون الرب ملجأ للمنسحق . ملجأ فى أزمنة الضيق . ويتكل عليك العارفون اسمك . لأنك لم تترك طالبيك يارب . رنموا للرب الساكن فى صهيون أخبروا بين الشعوب بأفعالــه » (مز ٩ : ١ - ٢ ، ٩ - ١١) .

فمن المؤثرات السلبية عاطفياً أن تجد طفلك يتعلق بك ويصرخ « ماما ، ساعدينى » ، قبل أن يبدأ تأثير المخدر . وبلا شك ، كالكثيرين من الأمهات والآباء الآخرين ، كنت أجد الردهات طويلة وموحشة ، ولكنى كنت أشعر دائماً بأنى محمولة على الأذرع الأبدية وقوية بكلمة الله . لقد ذكرتنى أن أوقاتى وأوقات دافيد فى يدى الله الذى صنعنا ويهتم بنا أكثر مما نهتم بأنفسنا .

عندما بلغ دافيد الثالثة والنصف من العمر ، فقد رتب الرب (فيليس روس Phyllis Ross) استجابة لصلواتنـــا ، أن تعيننى فى المنزل . لم نكن نعرف ذلك وقتها ، ولكنها كانت عوناً كبيراً لدافيد . ولأنه لم يكن قادراً على الحركة بالطريقة الطبيعية ، فقد ابتكر طريقته الخاصة للتنقل من حجرة إلى أخرى . كان يرقد على ظهره ويحرك نفسه برأسه وساقيه . وكان يبتهج عند ما يرى فيليس تنظف وتكنس بيت راعى الكنيسة . وقد أعجب دافيد بالمكنسة الكهربائية كثيراً . فاشترى له ستيفن مكنسة كهربائية لعبة فى وضع عمودى كنا ندور بها يومياً ، وهكذا كان يسهم فى جعل الأشياء نظيفة . ومن السهل أن نتصور كيف أن صداقة قوية سرعان ما تطورت بين فيليس ودافيد . فكانت تقول له « ياولدى » وقد أطلعتها على كل ما تعلمته وأتعلمه عن الطرق المختلفة لمساعدة دافيد فى تحسين مهاراته الحركية .

وإلى المدرسة :

لم تنته عناية الله بتدبير فيليس . عندما ذهب دافيد إلى الحضانة ، « تصادف » أن كانت للمدرسة خبرة بالأطفال المعوقين جسمياً ، وكانت تكن لهم مودة كبرى . عملت مسز برمنر Bremner بجد مع دافيـــد ، وعملت مسز جيلاندرز Gillanders مثلهـــــا . وحيـــث إنهما كانا صديقتين مقربتين للطفل ، فقد أتاح وجوده فى الحضانة له نقطة انطلاق لدخول المدرسة الابتدائية فى منطقة Boner Bridge كان من الضرورى أن يكون لدافيد مرافق طوال الوقت فى الاتجاه السائد للتعليم . ومع أنه لم يكن لفيليس مؤهلات علمية ، إلا أنها كانت المرشحة المثالية لهذا المركز ، وقد شجعناها بقوة على التقدم بطلب للحصول على هذا المركز ، وقد فعلت ذلك ، وكان لإدارة التعليم المحلى الإدراك السليم حتى تعينها فيه . وقد ثبت أن ذلك كان ترتيباً ناجحاً جداً بسبب سابق معرفتها وخبرتها بدافيد ، جنباً إلى جنب مع استعدادها لأن تتعلم

من الأطباء ومدرسة الأطفال . وبمناسبة الحديث عن أخصائى العلاج الطبيعى ، فقد قدمت آن عوناً كبيراً ، وقد قدمتا هى وجانيت معونة كبيرة لدافيد ، ثم جاءت ماريون للعمل فى الشمال .كانت قد تدربت فى Bobath بوباث ، وكانت مسرورة بتقدم دافيد ، على الرغم من أنه لم يكن يقدر دائماً جهودها لصالحه ! هذا النوع المعين من العلاج الطبيعى يمكن أن يصبح ذا فائدة عظمى للأطفال الذين يعانون من الشلل المخى .

تمتع دافيد بالمدرسة . وكانت مسز تشزهولم Chisholm «مدرسته» كما دعاها ، مغرمة به ومازالت تتصل به . وكانت تعمل بجد غير عادى لتقدم له المساعدة . لقد أحبت دافيد فعلمته ، على الرغم من المصاعب التى واجهها فى التعلم ، وقد استفاد كثيراً من الوقت الذى كان يقضيه معها . وكانت مسز تشزهولم أقرب جارة لنا أيضاً حيث إن زوجها كان عنده مزرعة صغيرة بجوار منزل الراعى . كان دافيد يحب الذهاب إلى هناك ، وكان يساعد فى إطعام الأبقار وكان يقوم بجولات مع ساندى وهو يرقبه عندما يقوم بالواجبات المفروضة عليه . كانت الرحلات على الجرار متعة كبيرة فى وقت الحصاد ، وعندما كانت تنقل السماد إلى المنزل فى الصيف .

وعلى الرغم من المصاعب الجسيمة والتعليمية التى كان يواجهها دافيد ، كان يجيد الاتصال بالآخرين ، وكان ودوداً ومنطلقاً مع إحساس كبير بالمرح والدعابة واهتمام حقيقى بالآخرين . وكانت لديه أيضاً موهبة غير عادية - فلم يكن أبداً ينسى الأسماء والوجوه ، وقد كان هذا مفيداً جداً لى عندما أنسى أنا ! .إن دافيد الذى نعرفه ونحبه يتميز بأنه اجتماعى ، وكثير الضحك ومن الممتع أن تكون فى معيته . ولكن بالنسبة لأولئك المهتمين بالتصنيف الفنى لحالته ، فهو يعتبر مصاباً بشلل رباعى تشنجى غير متناسق ، متوسط الدرجة ، مع اشتداد درجة الإصابة فى الجانب الأيمن من الجسم .

يعتقد بعض الناس أن الأطفال المعاقين يحتاجون لمعاملة مختلفة عن الأطفال « العاديين » . لم أتبع أنا وأليكس هذا الأسلوب ، فقد تربى دافيد بنفس الطريقة كباقى الأطفال ،أن نقبل تعليم الكتاب المقدس وأن الله يعلم أفضل من الجميع فى السلوك والعلاقات والنظام والاحترام .. الخ . ومنذ نعومة أظفار دافيد ، فقد شارك فى أفراح وأتراح الحياة . وهو يذهب حيثما نريد . ونتيجة لذلك فقد ذهب إلى أماكن فى كرسيه المتحرك لم يذهب إليها عدد كبير من الأطفال

الأصحاء جسمياً . لقد راقب دافيد طيور البحر وهى تبنى أعشاشها ثم وهى تطير بعيداً ، ولاحظ الصخور فى ويسترى (Westray) و أوركنى(Orkney) ، وجمع البيض من عشة الدجاج وأطعم الحملان الصغيرة . وقد زار معنا العديد جداً من الاماكن التى نحتفظ بذكريات سعيدة لها .

إن الشئ الذى يضايق دافيد ويصيبه بالاكتئاب هو كثرة التغيير ، فقد جرَّب الكثير منه فى العائلة ومع إخوته وإحدى أخواته ، فقد ذهبوا بعيداً لتلقى المزيد من التعليم ثم أنشأوا بيوتاً كما حزن لفقد صديق عزيز من الكنيسة ، وجدّيه كليهما على مدى أسبوعين فقط . ثم الحزن الذى واجهه بترك بيته المحبوب فى مجديل Migdale فى عام ١٩٩٥ ، ليأتى مع أخواته الثلاث اليانور وأستر ومريان ، اللاتى لازلن فى البيت ، ليعيش فى جلاسجو عندما انتقل أليكس للخدمة المسيحية هناك . استقر دافيد فى حياته وبيئته الجديدة تماماً ، ولكنه يفتقد المرتفعات ويحب العودة إلى هناك فى العطلات .

النظر للخلف والنظر للأمام :

جلب دافيد لنا قدراً كبيراً من الفرح والعمل الجاد وفهم الإعاقة لنا جميعاً ، لقد غير حياتنا . فكم علّمنا الرب كثيراً من خلاله ، أن نكون أكثر حباً وتفهماً ، أكثر شكراً وصلاة لله الذى فى رحمته أبقى لنا على حياة دافيد . وعندما أسمعه يصلى للآخرين الذين هم أكثر مقدرة منه ، أضطر أن أقول « الاحتماء بالرب خير من التوكل على إنسان » (مز ١١٨ : ٨) .

وسوف أظل شاكرة على الدوام لزوجى العزيز وأطفالى المحبين . وهناك أيضاً العديد من الأصدقاء الطيبين الذين صلوا لأجلنا أمام عرش النعمة ولازالوا يصلون ، والذين أشعر نحوهم بامتنان عظيم . وأخيراً ، وفوق الكل ، أسأل نفسى : « ماذا أرد للرب من أجل كل حسناته لى ؟ » . وأرد مع كاتب المزمور « كأس الخلاص أتناول وباسم الرب أدعو » (مز ١١٦ : ١٢ - ١٣) .

{٧}
راشيــل وكيــت

راشيل تقدم نفسها وأختها

كيت وأنا أختان ، متقاربتان فى السن ، وقريبتان كل من الأخرى . لقد نشأنا فى منزل قسيس وكان كلا الوالدين مؤمنين ، وبعد مولدى بعامين أو ثلاثة ، كان كل شئ يبدو على ما يرام فى علاقتهما الزوجية ، ثم فجأة ، تركنا والدنا ورحل . وبدون سبب ، أو هكذا كان يبدو ، لم يعد يحب أمنا ، ولم يستطع أن يعيش معنا بعد ذلك ، فقد كان يحب إحدى العضوات فى المحفل بالكنيسة . تركنا ورحل ولم نره لمدة ١٢ سنة منذ أن كنا نبلغ الثالثة والخامسة من عمرينا ، ولا نراه سوى فى العطلات الأسبوعية .

سنوات طفولتنا ترويها كيت :

كانت السنوات القليلة الأولى فى زواج والدينا ، على ما أعتقد ، صعبة إلى حد ما لكليهما . لقد أتيا من بيئتين مختلفتين ، ولهما توقعات مختلفة لما يعنيه أن تعيش مسيحياً ، وكانت شخصيتهما مختلفتين ، وأعتقد أيضاً أنها المرة الأولى التى اضطر فيها والدى أن يواجه مشكلة حقيقية فى الحياة ، فعندما واجه زواجاً فاشلاً ، اتخذ الهروب وسيلة لحل المشكلة .

وكنتيجة لهذا التشتت العائلى ، انتقلنا أنا وأمى وأختى من منزل القسيس إلى منزل شبه منعزل . اضطرت أمى للعمل طول الوقت ، مع أنها كانت تفضل الاستمتاع بالبقاء فى المنزل مع « بناتها » . وعلى الرغم من وجودنا بلا أب إلا أن السنوات التى أعقبت انهيار الزواج كانت سعيدة لكلينا ، مع أنى واثقة أنه لابد أن هذه السنوات كانت مخذية بالنسبة لأمنا . وبعد سنوات

عديدة ، عندما بلغنا سن المراهقة ، أخبرتنا أمنا عن اعتمادها الكامل على حضور وقوة الله خلال كل السنوات التى عاشتها بلا زوج ، وبنوع خاص فى السنوات الأولى من انهيار الزواج .

كنا فى سنوات طفولتنا ، على ما أعتقد ، فى حالة مادية معقولة . كنا نذهب إلى مدرسة ابتدائية « للطبقة الوسطى » ، ومع أن التلميذات الأخريات كن يعرفن أن والدنا لم يكن معنا ، إلا أنهن لم يتحدثن عنه فى وجودنا ، ولم نشعر أبداً أننا كنا نختلف عن زميلاتنا فى شئ . ومع ذلك ، فإنى أتذكر أن مدرساً ووالداً لواحدة من أعز صديقاتى سألانى أسئلة بعد أن زرت والدى فى العطلات الأسبوعية ، وقد أشعرتنى هذه الأسئلة بالحرج مع أننى لم أفهم السبب لذلك . وفى حين أنه لا بأس من إظهار الاهتمام بحياة طفل ما ، إلا أن الأطفال يخبرونك عادة ما يريدونك أن تعرفه ، وقد اكتشفت فى ذلك السن المبكر كيف أن مثل هذه الأسئلة يمكن أن تجعل الطفل يشعر بالضغوط .

فى إحدى المناسبات ، بينما كنت فى عطلة ، كنا نلعب على الأراجيح مع أختين ، وقد سألت البنتان أسئلة متكررة عن مكان وجود والدنا ، وأخيراً بدأتا ترددان نفس الكلمات مراراً وتكراراً « أين والدكما ؟ » ثم « أليس لكما والد ؟ » ، قد تبدو هذه حادثة صغيرة ، ولكنى لا زلت أشعر بالجروح والآلام الناتجة عن هذه اللحظات . ولاشك أن البنتين اللتين أحدثتا هذه الجروح قد نسيتا كل شئ عن هذا الموضوع .

لابد أن هذه السنوات كانت صعبة جداً على والدتنا ، ففى سن الثالثة والثلاثين كانت تتعامل بنجاح مع طفلتين صغيرتين ، وتدير بيتاً جديداً ، وتتعرض لظروف مالية ضاغطة ، وتواجه الوحدة ، وتتعامل مع كثيرين من المتقدمين إليها من رجال غير مؤمنين لابد أنهم اعتبروا أن تكوين صداقة معها لعبة مسلية ، وقد اعتبر الأصدقاء المسيحيون أنه من الصعوبة بمكان تقديم الدعم لمطلقة .

إن ماما ، فى الحقيقة ، كونت صداقات مع أناس أمناء ومعاونين على مدى هذه السنين ، ولكن عدداً كبيراً من هؤلاء الأصدقاء الذين كانوا وثيقى الصلة بوالدينا عندما كانا متزوجين ، قد انسحبوا .

راشيل تفهم الآن :

بالنسبة لنا كطفلتين ، فإن احتمال زواج أمنا كان يملأنا بالرعب واليأس . وقد كان رد فعلنا تجاه أصدقائها يختلف كثيراً . فإحدانا كانت تقبل الأصدقاء وتعاملهم بلطف وكياسة . والأخرى كانت تعاملهم بعبوس وترفض أن تكون لطيفة أو ودية ، وتجعل الحياة صعبة بالنسبة للجميع .بالطبع ، كان الخوف من فقدان أهم شخص فى حياتنا لصالح شخص غريب هو السبب . كنا نريد أن نعامل معاملة متميزة . وبالنسبة لى ، كان أفضل أسلوب هو تجاهل عبوسى ووقاحتى ، والمضى قدماً بثقة ، ولكن أيضاً بكل أمانة ، بلا خطط سرية أو جداول أعمال مخفية . فحتى الأطفال يعرفون إن كانت هناك خطط معدة من قبل أم لا . فالصراحة والحب غير المشروط ، المعبر عنه فى معظم الأحيان ، هما الطريق الصحيح إلى قلبى .

كيت تقول : البكاء على الخسارة :

هناك نوع من البكاء ، التعامل مع خسارة والدى ، وكما اعتبرتها ، خسارة نصف عائلتى . حينما كنت راكبة فى السيارة مع والدتى أخبرتنى أنها طلقت من والدنا . شعرت ساعتها أن العالم قد أبطأ فى دورانه ، وأنى أراقب مسرحية ألعب فيها دوراً ، واستيقظت من النوم فى تلك الليلة وأنا أبكى الخسارة . إننا محقون حين نعامل الأطفال الذين يعانون الفراق بصبر ، ربما نستطيع أن نتحمل خسارة أخرى نفكر فيها لا تبدو نهائية بالنسبة لنا ، ولكنها كذلك بالنسبة للأطفال أو الشباب .

كانت المدرسة الثانوية التى كنا نذهب إليها مختلفة عن المدرسة الابتدائية . فقد كان تلاميذها يأتون من بعض المناطق المحرومة ، وفجأة ، كانت أختى وأنا ضمن العديد من الشباب الذين جاءوا من عائلات كبيرة العدد .ومع ذلك فكنا نشعر بأننا « مختلفتين » ومعرضتين للانتقاد .

وقد أصبحت أنا وأختى مسيحيتين فى أوائل سنى المراهقة ، ومن ذلك الوقت فصاعداً اختلف نظام حياتنا اختلافاً كبيراً عن صديقاتنا . فقد كنا لا نشرب المسكر أو نذهب إلى النوادى الليلية ، ونقضى معظم أوقات فراغنا مع صديقات المدرسة . وقد كنا محظوظتين أن نكون ضمن

مجموعة جيدة من الشباب من عائلات مسيحية ، من كنيسة كانت تشرف على ناد للشباب ورابطة شبابية وكنا أعضاء فيهما ، وقد أتاح هذا لنا مكاناً شيقاً نذهب إليه فى ليالى يوم الأحد. لقد قيل إن الشباب يجب أن ينضم إلى مجموعة ، وإذا لم يجدوا مجموعة ينضمون إليها فإنهم يبحثون عن واحدة من إحدى المجموعات ! لقد استفدنا كلانا من التشجيع الذى لقيناه فى المجموعة المسيحية التى تضم أندادنا ونحن نواجه بالبيئة العالمية التى كنا نعيش فيها .

راشيل تتأمل الوقائع :

أعتقد أن المجتمع أكثر إدراكا الآن « للبيوت المحطمة والعائلات وحيدة الوالدين » . ربما المواقف التى وجدت نفسى فيها عندما قدمت للمدرسة الثانوية لم تعد موجودة الآن . إنى أتذكر بوضوح أنى كنت أجلس باكية ، محاولة أن أملأ استيمارة كانت تتطلب « اسم الأب والوظيفة » وكنت أريد أن أكتب اسم أمى ، وأن والدى ليس هو الشخص الذى يمكن أن يتصلوا به فى حالة الطوارئ ، ولكنى كنت صغيرة جداً وخائفة من الاستفسار عما ينبغى أن أفعل . قال المدرس المجهول ، وهو شاب يقف أمام الفصل : «لو كان عند أى منكن مشكلة ، فلتأت إلى مكتبى» ، ذهبت إلى الأمام فتابعتنى كل العيون فى الفصل . وذهبت بنت أخـــرى إلـى الأمام وقالت : « والدى قد مات » فقيل لها : « حسناً ، اكتبى اسم والدتك » .كنت أود أن يكون موقفى واضحاً ومقبولاً فتمتمت قائلة : « والدى لا يعيش معنا »، ولا أعلم ماذا كان يدور فى عقل الرجل المسكين ولكنه قدم لى نفس النصيحة . ولو تم تعديل الاستيمارة بحيث توضع كلمة «ولى أمر» بدلاً من كلمة «أب» ، لكفى . ربما كان هذا هو الحال فى تلك الأيام بالنسبة للحالات العديدة التى حدثت فيها انهيارات فى العلاقات الزوجية . وإنى أرى أن الوضع الآن أفضل من ذى قبل بالنسبة للذين تأثروا بمثل هذه الظروف . إنه درس يمكن أن نأخذه جميعاً إلى أماكن عملنا وبيوتنا ومنابرنا ، أن نضع أنفسنا فى مكان طفل يعانى من وضع مماثل ، وأن نعمل على تخفيف آلامه أو وصمة العار التى يشعر بها .

الإحساس بعدم الأمان ؟ نعم ، تقول كيت :

إن المثال الذى تقدمه أختى بإحساسها بأنها مختلفة عن الأخريات بسبب كلمة فى استيمارة

تثير فيَّ الذكريات . سألتنى ذات مرة إحدى المدرسات المكلفة بإرشادنا ، بحسن نية فى إحدى المقابلات عن مهنة والدىّ ، ثم سألتنى عن السبب الذى جعلنى أكتب اسم أمى فى مكان الوالد أو الوصى ، فأجبتها ، ووجهى محمراً خجلاً ، وكنت آمل بشدة أن تتوقف عند هذا الحد . وأشكر الله لأنها توقفت ، هل كنت أشعر بعدم الأمان بسبب ظروفى ؟ لابد أن الأمر كان هكذا . لقد شعرت بالتأكيد أنى أكثر راحة داخل العائلة الكنسية عنه خارجها .

التعامل بنجاح مع الطلاق - أفكار راشيل :

كانت زيارة والدنا أكثر صعوبة عند ما ذهبنا إلى المدرسة العليا ، لأن أيام السبت كانت تستغل فى لعبات الهوكى والتنس ومهام يوم السبت . ولكن فى إحدى هذه الزيارات ألقيت القنبلة ، فقد أعلن والدى أنه سوف يتزوج المرأة التى كان متورطاً معها منذ أن تركنا، كنا فى الخامسة عشر والسابعة عشر من العمر . ولما شعرنا أنه من الجبن أن يخبرنا بهذا الخبر ونحن بعيدون عن المنزل ، وقبل أن يخبر أمنا ، فقد قطعنا تلك الزيارة فجأة ، فاتصل بأمنا قبل وصولنا للمنزل وقد أصيبت بالطبع بالاكتئاب . عندما تركنا فى بيتنا من قبل ، جلسنا وبكينا وأخذنا نناقش الماضى ، وما سنفعله فى المستقبل ، وقررنا أن تلك الزيارة لن تكون ممكنة بعد الآن . وسواء كان ذلك هو القرار الصحيح أم لا ، فهذا ما لا نعرفه حتى هذا اليوم . ونحن مختلفتان بشأن علاقتنا بوالدنا .

وبعد أن أنهينا المرحلة المدرسية . ذهبت كاتى إلى الجامعة التى لم تكن بعيدة عن منزلنا ، وبعد ذلك بعامين ، أصبحت طالبة فى جامعة أبعد قليلاً . كانت الروابط بيننا نحن الثلاثة « أوثق ما تكون » فنتائج فعلة والدنا كانت كثيرة ، كاقتراب كل منا من الأخرى فى سن المراهقة والنمو ، ومشاركتنا فى الصراعات داخل العائلة الكنسية ومع السلطات الأخرى ، والدراسة والصديقات جعلتنا يداً واحدة . كنت أنا وأختى نقدم المساعدة فى كل ما يتعلق بالمنزل : كالعمل فى الحديقة والقيام بإصلاح الأشياء وتغيير القوابس وحمل حقائب السفر . وقد أدى ذلك لاعتقاد راسخ بالمساواة فى الكفاءة والفرص المتكافئة للسيدات .لم يكن هناك عمل للرجال أو السيدات، فقد كنا جميعاً إناثاً ومضت بنا الحياة . وقد أدى ذلك لأن تتكون لدينا وجهات نظر قوية بشأن

موقف الكنيسة فيما يتعلق بما تراه أدواراً مخصصة للذكور والإناث .

ففى أغلب الأحيان يتم التركيز فى الكنيسة على العائلة التقليدية - الأب والأم والأطفال . فهى تخاطب الأطفال على سبيل المثال بالقول : « اليوم عيد الأب ، ما الذى سوف تقدمونه (لبابا) هذا الصباح ؟ ، دون مراعاة لمشاعر أولئك الذين بلا أب ، ولمن يسبب لهم هذا الكلام جرحاً بليغاً . أعتقد أن الفكرة هى أنه إذا احتفظنا بالموقف المثالى وكررنا الأنماط العائلية التقليدية ، فهذا يعنى أننا نقدِّر العائلة كوحدة وكأفضل نظام خلقه الله . بالطبع هذا صحيح ، ولكن يسوع قد جاء أيضاً لليتيم والأرملة والمسكين . والحساسية هامة جداً فى موقف الكنيسة ، وفى «الخدمات العائلية» ، وفى كل ما نقوله من مواقع القيادة أو الصداقة . وأعتقد أن المجتمع عموماً أكثر إدراكاً وحساسية ، وكم يكون من المحزن ألا تكون الكنيسة كذلك .

إن التساؤلات أكثر من الإجابات بشأن الطلاق . فماذا تقول على سبيل المثال ، عندما يسأل واحد من الخدام المسيحيين وزوجته ، بنتاً تبلغ الثامنة عشر من عمرها وهى طالبة جديدة بالكلية ، ولم يتقابلا معها من قبل ، فيقتربان منها ويوجهان إليها هذا السؤال : « أنت لا تعرفيننا ، ولكننا كنا نعرف والديك فى الجامعة . وقد انقطعت الصلة بيننا ، لقد كان أمراً صعباً كما تعلمين ، ماذا حدث بشأن موضوع الطلاق ؟ » . ما قلته يدل على حقيقة أن الموقف أكثر صعوبة بالنسبة للذين فى قلب المعمعة ، وأنه كان يمكن لأمنا أن تكون أحسن حالاً لو لقيت مساندة أكبر مما لقيته . أجبت على تساؤلهما برفق وقرأت فى وجهيهما خليطاً من الشعور بالذنب والمفاجأة . يبدو لى أن الناس عادة تجهل احتياجات ومشاعر العائلات المسيحية التى تشعر أن الطلاق ليس السبيل الإلهى ولكنها تفاجأ بأنه هكذا حدث لها ، وأن الحياة معركة من الناحية الجسمية والمالية ، وضد وصمة العار والجهل داخل الكنيسة والمجتمع بوجه عام . إن الوالدين الذين يعيشون بمفردهم بحاجة للدعم والصداقة والاحتواء . إنهم ليسوا بحاجة للأزواج الذين يقفون من بعيد خوفاً من تحدى آرائهم ضيقة الأفق أو لأنه جيد للأزواج أن يقيموا علاقات اجتماعية مع بعضهم البعض ، وأن المطلَّق الوحيد يشكل تهديداً أو من الصعب تصنيفه اجتماعياً .

كيف تستفيد من الإدراك المؤخر (إدراك الحادثة بعد وقوعها)

ذهبنا إلى الجامعة فى سن الثامنة عشرة كنت أسكن فى عنابر للإقامة طيلة السنتين الأوليين وعدت للبيت لأعيش هناك أثناء الصف الثالث ، أساساً لأن والدتى قد تُركت لتعيش بمفردها وشعرت أنه من الواجب علىّ أن أكون معها . كان وقتاً عصيباً ، وقد كرهت الاضطرار للتنازل عن جزء من حياتى لأجل شخص آخر . وفى سن العشرين ، استمرت مضاعفات انهيار الزواج . ربما لو استطاع أبى أن يرى ، أو يتأمل النتائج بعيدة المدى لقراره بترك العائلة ، لأعاد التفكير مرة أخرى .

وقد علمتنى تجربتى هذه أهمية حديث الأزواج المقدمين على الزواج ، وأهمية أن يتحدثوا إلى شخص حكيم قد مر بكثير من التجارب ويصارحوه بكل شئ . إنى أفهم أن كلا والدىّ كان لديهما الكثير من الشكوك فيما يتعلق بعلاقتهما قبل الزواج ، وأنهما لم يستطيعا التعبير عن مشاعرهما كل للآخر . فربما لو استطاعا الحديث بصراحة عن هذه الأمور كل للآخر ، أو لصديق يثقان فيه ، لاختلفت نتيجة علاقتهما .

راشيل تكمل الحقائق :

أكملت كلتانا الجامعة ثم مضينا بعد ذلك لكليات التدريب وتولى الوظائف . وعندما كنا فى أوائل العشرينات ، تزوجت أمنا مرة ثانية من أرمل مسيحى كانت قد التقت به فى الكنيسة. وببداية تلك المرحلة ابتعدنا عن العش تقريباً ، وقد سررنا لأجلهما سوياً على الرغم أن العلاقات الجديدة تتطلب المزيد من الوقت حتى تنمو .

كيف تروى قصتها المؤثرة ... وهى كسيرة الفؤاد :

عندما بلغت التاسعة والعشرين من العمر ، ماتت أمنا . لقد كان مرضاً قصيراً نسبياً ، على ما أعتقد ، لم يدم سوى عامين مما سهَّل علينا أن نتحمله من بعض الجوانب ، على الرغم من أنه كان صعباً من جوانب أخرى . وأنه لحزن طاحن أن نرى شخصاً نحبه يصبح أكثر ضعفاً بالتدريج ثم يختطفه المرض . لقد كانت أمنا تتحدث دائماً عن إحساسها بأن الله قد ساندها على مدى السنين

وعن اعتقادها أنها قد بقيت على قيد الحياة فقط لأنه كان يساندها بقوته . كانت ثقتها الكاملة في الرب واضحة من الطريقة التى كانت تواجه بها كل مرحلة من مراحل مرضها ، وأخيراً في ثقتها الكاملة بأنها على وشك أن تعود للوطن السماوى لتكون معه إلى الأبد .

وشعرت بالوحدة كثيراً خلال المراحل الأخيرة من مرض « ماما » . وإنى أعرف الآن أن الله دائماً بجانبى ، ولكنى لم أكن على اتصال به ربما لإحساسى بالغضب والحزن لأنه سمح بحدوث هذا الشئ الرهيب ، وقد شعرت بالارتباك لأنه لم يوقف تقدم المرض . ولكن فى أوقات كهذه ، يبدو فيها أن الله غائب أو صامت ، إلا أنه إلى جوارنا . وفى الحقيقة ، فنحن بحاجة لأن نؤمن أن الله موجود بغض النظر عما نشعر أو لا نشعر به فى ذلك الوقت .

بعد موت أمنا ، استمر إحساسى بالفراغ وإنى مخذولة ومتروكة من الله . على أى حال ، لم يكن لدينا سوى أمنا ، فلماذا يكون لباقى الناس والدين ،ونحن عائلنا الوحيد قد رحل ؟ . منذ ذلك الحين تعلمت أنه لا توجد إجابة على ذلك السؤال . ولكنى أؤمن أنه يوجد سبب معروف لله مما جعل أمى تموت فى ذلك الوقت ، وأستطيع أن أرى على الرغم من ذلك حدوث أشياء جميلة منذ ذلك الحين . ورأيى الآن أن الله يحبنا كثيراً ، أكثر بكثير من أى شخص آخر ، وأن مهمتنا أن نثق به مهما حدث .. من السهل أن نقول ذلك ، ولكن بالنسبة لى ،كنت أريد فهم ما حدث . إنى أتأمل أيوب ، وحقيقة أنه لم يستطع أن يفهم سبب الأحداث الرهيبة التى لحقت به (على الرغم أن كثيرين قد حاولوا!) ، ومع ذلك ، فقد كانت هذه هى خطة الله ، وطرقه كاملة .

راشيل تقول : " لن تتغلبى على خسارة موت أمك "

إن موت أمنا متأثرة بمرض سرطان الصدر كان بداية لمرحلة جديدة تماماً وأليمة فى حياتنا ، فقد كانت أكثر الأوقات حزناً بسبب الخسارة . ويمكن أن يقال عنها الكثير ، فقد كانت سيدة مسيحية بحق ، وهبت حياتها لتنشئتنا فى الإيمان ، وبالإضافة لذلك ، كانت أفضل وألزق صديقة لكلينا . والآن ، بعد مضى خمس سنوات ، فإن الفراغ الرهيب وفتور الشعور واللامبالاة فى السنتين الأوليين عقب الوفاة قد قلّت حدتهما ، ولكن الدموع لا تزال تنساب ، والخسارة لا تزال تضغط علينا بشدة . فى ذلك الوقت قال أحدهم لى : « لن تتغلبى على الخسارة الناجمة عن

موت أمك » . إنها فكرة بسيطة، ولكنها للأسف حقيقية . ربما بالنسبة للذين بلا أم ، وقد قام الأب بتربيتهم ، فإن الكلمات كان يمكن أن تكون مختلفة . لقد افتقدناها كثيراً عند زفاف كيت . ولكن بالنسبة لأمي ، فقد كان وجودها مع المسيح أفضل بكثير .

قصة كيت :

تزوجت في سن الثالثة والثلاثين . تعرضت لضغوط عديدة لكي أتزوج ، وإني متأكدة أن بعض المسيحيين يتزوجون خوفاً من عدم التلاقي مع زميل مناسب آخر . وقد « تشجعت » لأن أستريح لشخص عدة سنوات خاصة أني سمعت أنه كان شخصاً « معقولاً » وأنه ليس صفقة خاسرة » .فمن الصعب للغاية أن تنتظر حتى تتأكد أنك قد التقيت بالشخص الذي تعتقد أنه مناسب لك . ولكني متأكدة أني كنت على صواب في ذلك .

نعيش أنا وزوجي الآن في شقة قديمة . وهو مسيحي رقيق ولطيف ، وأعتقد أن الله قد أعطاني « سؤال قلبي » .كلانا قد أتى من بيت محطم ، ووالدانا قد تركا عائلتهما . وفقد زوجي أيضاً أمه منذ سنتين . ونحن ندرك أن كلاً منا قد أقدم على الزواج وهو يحمل عبئاً عاطفياً ونفسياً . ولكننا ندرك كذلك أن الزيجات المسيحية تتحطم أيضاً ، وأن هناك قدراً كبيراً من العمل الشاق يجب أن يُعمل حتى تنجح علاقتنا الزوجية . وآمل أن تكون معرفة الآثار بعيدة المدى التي ترتبت على ترك أحد طرفي االعلاقة الزوجية للزواج سوف تجعل كلاً منا يعمل بأكثر جدية لإنجاح علاقتنا الزوجية .

راشيل الحذرة تتحدث عن القرار الحكيم :

كما سامحنا المسيح ، فلذا علينا أن نتخذ موقف المصالحة مع أنفسنا ومع الله بشأن هذا الموضوع ، ومع والدنا . وسواء كان من الأمور الإلزامية أن نبحث عن علاقة متطورة مع والد أخلَّ بالتزامات وحقوق الأبوة بالهجر أم لا ، فهذا الأمر غير واضح ، وهو موضوع يتطلب قراراً حكيماً . وقد تمر سنوات طويلة قبل أن نصفح . إننا لا يمكن أن ننسى ولكن علينا أن نجد السلام والمصالحة ونتعلم من اختباراتنا . وبهذا العمل ، قد نساعد الآخرين حتى يفهموا ويكونوا منفذين لإرادة المسيح هنا على الأرض .

الأفكار الختامية لكيت :

أتقابل مع والدى بانتظام تقريباً . وأعتقد أن علاقتنا جيدة ، ذلك أننا نتبادل الأخبار ويتصارح كل منا مع الآخر ، سواء فيما يتعلق بالماضى أو عما يحدث الآن فى حياتنا . أعتقد أنى سامحته لتركه لنا ، ولكن مشاعر الإيذاء والغضب قد لا تختفى تماماً . إننا صديقان يهتم كل منا بالآخر . وأعتقد ، من الناحية الواقعية ، أن هذا أفضل ما يمكن أن يُعمل . وأنه لتدريب مفيد بالنسبة لى أن أكتب هذه القصة . وأشعر أنى قد عشت بعض الأحداث التى مررت بها مرة أخرى ، وقد مكننى ذلك من إعادة التفكير فى هذه الأمور . ونحن نأمل ونصلى أن ما مر بى وبأختى من تجارب عشناها سوياً ، أن يكون ذات فائدة لمن يجتازون اختباراً مماثلاً الآن ، أو ممن قد اجتازوا فيه فى الماضى ، أو لمن لا يعرفون تماماً أفضل السبل للاتصال بصديق يجتاز هذا الموقف .

{ ٨ }

و. ڤيرنون هايهام

سوف أبدأ قصتى بتقديم فكرة مختصرة عن خلفيتى . فأنا فى الوقت الحاضر راعى الكنيسة الإنجيلية فى هيث بكارديف حيث أعمل طوال الـ ٣٥ عاماً الأخيرة . وقد ولدتُ فى كارنرفون فى شمال غرب ويلز ، وقضيت طفولتى المبكرة هناك . وقد كانت الأيام صعبة لعدد كبير من الناس أثناء الكساد العظيم فى عام ١٩٣٠، ولكن كان حظ عائلتنا يبدو أفضل بكثير من معظم الناس لأننا كنا نمتلك دكاناً للبقالة فى المدينة وحديقة تجارية بها مزرعة للدواجن خارج المدينة . ومع ذلك ففى تلك الأيام لم يكن النجاح حليفاً لأحد . ونتيجة لذلك ، وكالعدبد من المواطنين ، تركنا ويلز لنجد مكاناً آخر نكسب فيه لقمة العيش . وقرر والدى أننا كعائلة علينا أن نعود لمدينته الأصلية السابقة فى شمال انجلترا . لقد كان تغييراً هائلاً من مدينة تجارية فى ويلز إلى مدينة صناعية كبرى فى لانكشير . وطوال السنوات التالية كانت بولتون Bolton موطننا وأصبحنا جزءاً من مجتمع كبير من ويلز فى منطقة ما نشستر ، بما فيه من العديد من كنائس ويلز . كان هناك تغيير فى اللغة والبيئة المحيطة والمدارس .

ثم قامت الحرب ، بكل ما فيها من قيود وقلاقل ، وقرب نهايتها وصلت لسن الاستدعاء لأداء الخدمة العسكرية . وقد سمح لنا أن نكتب الترتيب الذى نفضله بالنسبة للأفرع الثلاثة فى الخدمات والترتيب الذى قد وضعته هكذا : الجيش والبحرية والطيران على التوالى . ولدهشتى وجدت نفسى مع كل الشبان الآخرين فى مجموعتى فى مناجم الفحم ! لقد كان اختباراً شيقاً ، وإنى أشكر الله لأجل ذلك . بعد ذلك واصلت تعليمى وتدربت للعمل كمدرس فى كلية الثالوث فى كارمارثن . وخلال ذلك الوقت الذى قضيته هناك ، وعندما أسترجع الماضى فيما بعد ، يمكننى القول إنها كانت سنوات سعيدة حقاً : وبعد أن استمتعت بالمنهج الدراسى ، أحببت

التدريس وكونت العديد من الأصدقاء . ثم درّست لغة أهل ويلز فى كارديف ، وبعد مدة قصيرة رجعت لموطنى فى لانكشير ودرّست هناك لعدة سنوات قليلة . وخلال هذه المدة تعرضت للإصابة بالربو، ولكنه لم يحدّ من أنشطتى بأى حال من الأحوال .

البحث ثم العثور على ما كنت أبحث عنه :

إننى أعتقد أن الله كان يعمل فى حياتى لمدة طويلة . كنت أحضر الكنيسة دائماً وبانتظام سواء فى الخدمات المعتادة أو مدرسة الأحد ، وبالإضافة لذلك اجتماع الصلاة والاجتماعات الأخرى التى كنا نعقدها وسط الأسبوع . وإذ كنت أحب الكنيسة لم أكن أفكر أبداً فى عمل أى شئ آخر فى يوم الرب .

وبالرغم من كل ذلك ، كنت أفتقد شيئاً ما ، كنت أصفه بالبيانو الذى ينقصه أحد الأصابع أو النغمة المفتقدة فى حياتى . كنت أريد أن أعرف الله بقوة وأن أكون فى سلام معه . وقد بدأ بحثى عن الله بجدية عندما كنت فى كارديف . وخلال فترة مرضى ، أصبحت قلقاً بنوع خاص، وتعهدت أمام الله أن أخدمه عندما أشفى من مرضى . وهذا ما حفزنى أن أرجع لوالديّ وأخبرهما بهدوء بما أنوى القيام به ، ولكن دوافعى الروحية لم تكن واضحة ، وأعتقد أنها كانت تتجه لإرضاء الله من ناحية ، ومن الناحية الأخرى كان يراودنى الأمل فى العثور على ما كنت أتطلع إليه .

ومع أننى كنت فى طفولتى محاطاً برجال نهضة عام ١٩٠٤ ، إلا أننى لم أكن أعرف شيئاً عن الخلاص بطريقة حقيقية أو لم يكن لديّ تأكيد بالخلاص . لم يكن متصوراً أن أترك التدريس ، ولكن هذا ما فعلته . وبعد أن قُبلت كمرشح للخدمة وجدت نفسى فى كلية اللاهوت التابعة للكنيسة المشيخية لويلز فى ابرستويث . وهناك ، وعن طريق يد الله القوية ، رأيت فقرى الروحى ، والشهادة الأمينة لبعض الشبان ، طلبت الرب بحماس وقد رحمنى . لقد دبّت الحياة فى كل شئ فأصبح جديداً . فالآيات التى كنا نرددها ونحن أطفال أمام الجمهور فى الكنيسة كل يوم أحد ، وتلك التى تعلمناها فى دروس مدارس الأحد ، كلها دبت فيها الحياة بالنسبة لى . وكتاب تعليم العقيدة أصبح حقيقياً ، فلم تذهب نشأتى الدينية هباءً وإنما دبت فيها الحياة ، ولكن أروع

الكل ، أنه أصبحت لى رسالة أنادى بها ، وقد حدث الاختبار الحقيقى عندما كنت لوحدى فى حجرة الواعظ فى البيت الملحق بالكنيسة فى ليلة سبت .فعندما ألقيت نظرة على الأوراق الخاصة بإعداد خطة اليوم التالى ، أتانى الرب ولم يتركنى منذ ذلك الوقت فصاعداً . طارت أحلام الشهرة من الشباك ، ولكن السلام الحقيقى امتلكنى . وفيما بعد ، أتذكر أن هذه الكلمات المثبتة كشارة على الحائط أصبحت شعاراً لى :

لقد صنع الله كل ما فىّ

وأعطانى كل ما عندى

وكـــل ما آمـــل فـــيه

يسوع وحده كل شئ لى

لقد توطد كل شئ – وتمت الصفقة الكبرى . منذ أيام قليلة فقط كنت قد قررت أن أعود لمهنتى القديمة لأنى شعرت أنه ليس لدىّ ما أقدمه كخادم ، ولا شئ حقيقى أستطيع أن أقوله . والآن لدىَّ الكثير لأقوله لتقديم إنجيل ربنا ومخلصنا يسوع المسيح . لقد انتهى البحث فى النهاية ولكن اتباع الله والسعى فى إثر النعمة قد ابتدآ . هناك آية فى ناحوم ١ : ٧ اتخذتها شعاراً لى فى ذلك الوقت وهو : « صالح هو الرب حصن فى يوم الضيق وهو يعرف المتوكلين عليه » .

شريك الخدمة :

أثناء إقامتى فى ابرستويث ، قابلت من أصبحت زوجة المستقبل ، وقد كانت وقتها تقوم بالخدمة فى العمل المسيحى . كانت تخدم وفقاً لما كان يطلق عليه « أخت الشعب » فى الكنيسة المشيخية فى ويلز وكان عملها فى منطقة سكنية كبيرة ، حيث كانت تقوم بالزيارات والشهادة للمسيح ، وتعقد اجتماعات كبرى للأطفال وهكذا ، وتزوجنا ومن وقتها بدأت حياة الشركة فى الخدمة طوال العمر .

كانت أول كنيسة لى فى مدينة تشتهر بمناجم الفحم فى ويلز . وكان من الطبيعى أن يتحدث الناس بلسان ويلز ، وقد خدمت الرب هناك لمدة ثلاث سنوات . ثم ذهبت إلى أجمل قرية يمكن تصورها فى التلال الخضراء فى غرب ويلز . لقد كانت مكاناً مختلفاً تماماً ، ولكنه كان مباركاً . وفى كلتا الكنيستين ، وجدت رجال النهضة الذين تقدموا فى السن ، وكان يطلق عليهم « أبناء النهضة » من قبل ، كانوا مصدر عون وارتياح كبيرين . قابلت مصادفة فى كنيسة فرعية تابعة لكنيستى الأولى أول متجدد ، وقد كان أخو إيفان روبرتس ، الشاب الذى استخدمه الله بقوة فى ذلك الوقت . وأستطيع أن أقول بدون شك إن متجددى تلك النهضة كانوا أمناء طوال حياتهم وكانوا بركة للكنائس التى كانوا يذهبون إليها .

وعلى غير توقع وصلتنى دعوة لأعظ فى كنيسة فى كارديف ، التى تقع فى مقر إقامتى الحالية . لم تكن عندى النية لترك المكان الذى أحببته كثيراً ، وبالإضافة لذلك ، فلم أعظ بالإنجليزية سوى حوالى ٦ مرات . كان ذلك فيه مشقة كبيرة ، خاصة عند الصلاة حيث لا توجد مذكرات أستطيع تتبعها . ومع ذلك ، ذهبت إلى هناك ، وبطريقة ما منذ البداية ، أحسست فى نفسى أن ذلك هو المكان الذى يجب أن أكون فيه . كان الإرشاد الذى أجده مشكلة كبرى فى المعتاد ، واضحاً بشكل لا يصدق . لم تكن هناك أى معضلة لا تجعلنى أخضع لإرادة الله.كان اجتماعى الوداعى مناسبة عاطفية ومحزنة جداً ، خاصة أنه لم يكن للكنيسة سوى ثلاثة خدام قبلى ، خدم كل منهم لمدة أربعين سنة . وامتدت مدة خدمتهم مائة وعشرين سنة ، أما أنا فإنى أرحل بعد أربع سنوات فقط ! ومع أنى كنت أحب الناس حباً عميقاً ، إلا أن الدعوة واضحة وليس هناك مجال للعصيان .

ثم ابتدأ عملى فى كارديف ، وسرعان ما أدركت أن علىَّ أن أتعلم الكثير ، فشغلت نفسى بنشاط لا ينتهى ، فكنت أقوم بالزيارات ، باحثاً عن علاقات جديدة ، وأقوم بالشهادة للمسيح ، وأقيم الاجتماعات الانتعاشية فى المدن المجاورة ، حتى بدا لى أنى قد تثقلت بالمسئولية عن كل نفس فى كارديف . كان العبء ثقيلاً علىَّ . وعلى أى حال فإنى أرى الآن أن المعركة ليست معركتنا بل للرب . وأخيراً جاء مساء السبت بعد أن كان اجتماع الشباب الذى عُقد فى بيتنا قد انتهى . وأصابنى إحساس غريب . حركت أحد الكراسى ووجدته أثقل من أن

أستطيع تحريكه . وبعد ذلك ، عندما ذهبت زوجتي للفراش ، دق جرس التليفون وكان من الصعب عليَّ كذلك أن أرفع السماعة . وصعدت إلى الطابق العلوى بطريقة ما ، ولكن بعد ساعات قليلة شعرت كما لو كان تنفسى قد توقف ، ثم كان يبدو أن النوبة قد هدأت لفترة قصيرة قبل أن تأتى مرة أخرى . فى تلك الأثناء ، كان الطبيب قد استُدعى ثم وصلت عربة إسعاف ، لم أكن أعرف ما يجرى ، ويبدو أننى لم أكن أدرى بما يحدث حولى . إنه اختبار غريب أن تتأرجح بين الحياة والموت ، وبينك وبين الأبدية مسافة لا تتعدى شبراً واحداً .

نعمة يومية للإحتياجات اليومية :

كان مرضى خطيراً ، وقد استمر هذا المرض لمدة ١٥ سنة ، مع أنه فى تلك اللحظة بالذات كانت كل الدلائل تشير إلى أن مرضى وحياتى سرعان ما ينتهيا . وفى النهاية ، اكتشفت أنه كان شكلاً من أشكال الربو الحاد ، وكانت نوباته فى ذلك الوقت يصعب معالجتها بنوع خاص . وتغير نمط الحياة بالنسبة للعائلة كلها ، مما كان يشكل تهديداً للحاضر والمستقبل . ومع ذلك ، فقد اقترب الرب منى من خلال هذا المرض بالعديد من الوسائل الخاصة ، معطياً نعمة لكل يوم وشجاعة للصمود . كنت دائماً أريد أن أكتب ترنيمة ولكن لم يكن هناك أمل يوحى بأن أتمكن من ذلك لأنى لم أكن أستطيع أن أجعل الكلمات تتوازن لتعطى إيقاعاً أو أجعل التعبير عن الأفكار يتلاءم فى مثل هذا الحيز الضيق .ومع ذلك فبعد أن استرجعت الوعى بعد النوبة الأولى التى تلتها نوبات عديدة مماثلة ، استطعت بطريقة ما أن أخط بعض الكلمات القليلة . وبعد ذلك تأملها صديق ودعاها ترنيمة :

رأيت يسوع فى رؤية جديدة

رأيت منظرا لم أره هنا من قبل

شاهدته فى مجد عجيب فائق

فى جمال فسجدت له هياماً به

وقفت على شواطئ ضعفى

وتفرست وأنا أقف على حافة خوفى

حينئذ رأيته فى جـــدة الحياة

نظرتـــه بهياً وعزيزاً على قلبى

مخلصى لن يتخلــــى عنى

إنه يكشف لــــى وجهه الرحيم

وحضوره ووعـــده فهو القدير

مفتدياً أحـــبا ء ه بالنعمـــــة

فى ظلال وديان رعب الظلام

حيث أهوال الجحيم تحكم قبضتها

يسوعى يبسط يـــده فى قوة

وينقذنى بطريقـــــة رائعـــة

لأن هناك يشـــرق نور أبدى

يشيع البهجـــة فى وادى الظلام

الرب يسوع الملك البهـــى

يطـــــرد الخوف بعيداً عن القبر

إلهنا هو هدف الرحلــــــة

حيث سلطـــــانه المجيد ومملكته

لأنه هناك يوجد أبنا ء الرحمة

الذين يحمدونه لأجـل آلام الجلجثة

لقد سمح لى الرب الجواد أن أعظ ، ولكن فى أول أحد عدت فيه ،وبعد أن ذكرت الآية التى

سأتحدث عنها ، رفضت كل قواى أن تعمل . رتّل الجمهور ترنيمة ، وتساءلت حين كنت أجلس هناك عما إذا كنت أستطيع أن أعظ مرة أخرى أم لا . فنهضت ، وقد أعاننى الرب ، فوعظت عظة عادية لمدة ٤٠ أو ٤٥ دقيقة : والشئ الغريب أن الآية كانت من سفر دانيال ٥ : ٢٣ « الله الذى بيده نسمتك » .

حدوث ما يفوق التوقعات :

على مدى الأعوام الخمسة التالية ، أصبحت الحقن اليومية وذهابى مرتين أسبوعياً إلى الاستشارى شيئاً روتينياً .وفى إحدى المرات ، كنت مع موعد فى لندن مع أحد الأخصائيين وقد كان شخصاً رقيقاً ، وقد أكد لى أنه من الواضح أن وقتى قصير ، ذهبت مع زوجتى إلى كافتيريا مجاورة لنتناول كوباً من الشاى ، وقررنا أن نعيش للرب بأفضل ما يمكننا طالما استمرت الحياة ، وشعرنا بالسلام . كانت حركتى صعبة ، والمجهود الذى أبذله قد صار أقرب ما يكون إلى الاستحالة ، ولكن الاستشارى الذى أتعامل معه أدهشنى بقوله : « سوف أجعلك تتحرك فوق هذا المنبر لأطول مدة ممكنة بالنسبة لى » . إن المشاكل الناجمة يمكن تخيلها ، وبنوع خاص ، عندما كنت أبتعد عن مصدر رعايتى الطبية الذى أشعرنى بالأمان . فعلى سبيل المثال ، كنت حريصاً على أن يستمتع الأطفال بالحياة شأنهم شأن بقية الأطفال ، ولكن قضاء عطلة أصبح حلماً مفزعاً ، ومع ذلك ففى كل هذه الظروف ، فإنى أشهد لصلاح الله .

وفى نفس الوقت ، فبدون مجهوداتى المحمومة وأنشطتى ، كانت الكنيسة التى أرعاها تنمو – وكنت أنا بحق أقف فى الخلف وأشاهد ما يحدث .لم يكن هناك احتمال أن أقول إن هذا النمو يرجع لأنشطتى حيث كانت كل قواى تستنفد فى البقاء على قيد الحياة ، كنت أقضى فترات متكررة فى العديد من المستشفيات ، ولكن بالرغم من كل ذلك فقد قبلت أنا وزوجتى كل الظروف التى كنا نجتازها . لم يكن هناك سبب يدعو للشكوى . كانت لى كنيسة بها جمهور رقيق وصبور ، وعائلة رائعة ، ولازلت أقدر على الوعظ ، ولكن فى مرات كثيرة ، كانت الدرجات التى أصعد فوقها إلى المنبر تبدو كجبل أتسلقه ، ولكنى كنت أصل .

مضت الأعوام ، وأصبحت حالتى المرضية هى التى تشكّل أسلوب الحياة اليومى الذى لن

ينتهي . صحيح إننا نستطيع أن « نفرح بالرب » (حب ٣ : ١٨) وأنه « كأيامك راحتــك » (تث ٣٣ : ٢٥) . كانت الليالى طويلة وكانت الأيام على ما أعتقد مجهدة ، ولكن غير العادى يصبح عادياً ، وما يكبل ويعوق حركتنا يصبح هو النمط المعتاد للحياة . تعلمت أن أعيش حيث كنت ووجدت كثيراً من الفائدة فى مجرد الراحة فى الرب ، ووجدت عزاء فى أعداد كتلك التى تقول : « كفوا واعلموا أنى أنا الله » (مز ٤٦ : ١٠) . ليس هناك قناعة أعظم من أن تقنع بالرب ، فالظروف تبدو متقلبة . كتب الرسول بولس يقول : « قد تعلمت أن أكون مكتفياً بما أنا فيه » (فى ٤ : ١١) . وصف أحد الكتّاب القناعة المسيحية بأنها جوهرة نادرة ، وإذا كان يعنى بكلمة نادرة أنها مبهجة لدرجة عظيمة ومشتهاة ، فإنى متأكد أنه على حق .

الشفاء الهادئ :

ثم أعقب ذلك ، على غير توقع ، تغيير فى حالتى لأنى كنت أجد نفسى فى حالة معنوية منخفضة جداً فى الصباح . وقد حيرنى هذا لأنى لم أكن أميل للشعور بالإحباط أو اليأس على الرغم أنى كنت أفهم تماماً كيف أن كثيرين يشعرون بذلك . بالنسبة لى ، كان ذلك اختبار جديد غير مرغوب فيه .

وقد دعيت فى ذلك الوقت لأشترك فى افتتاح مبنى كنيسة جديدة ، حين كانت العظة فى الخدمة الرئيسية بعد الظهر سوف يلقيها الراحل الدكتور مارتن للويد - جونز ، وقد طلب منى أن أعظ فى المساء . وبعد انتهاء الاجتماع ، تحدث معى وسألنى عما يتعبنى حيث أنه لاحظ اليأس فى كلماتى . وفى حين أنه أحس أن ذلك كان منطقياً ، إلا أنه كان معنياً بحالتى ، ولكنى أخبرته أنى لا أستطيع أن أقدم سبباً أو تفسيراً لذلك . فقرر أن ذلك موضوع يحتاج للصلاة، وذهبنا إلى حجرة الاجتماعات الرعوية معاً . إن الجو فى الحجرة كان لافتاً للنظر ، كما لو كان رقيقاً كالمخمل، فأجابنى بهدوء : « إنه دليل على حضور الرب » . إنه لم يصلِّ للشفاء على وجه التحديد ، كما نادى بذلك عدد كبير من الناس الطيبين المهتمين بحالتى بطريقة أو بأخرى فى الماضى .

وفى الطريق إلى منزلى فى تلك الليلة شعرت بتحسن ملحوظ ، وعلقت على ذلك قائلاً للشخص الذى كان يصحبنى فى طريق عودتى أن والدى كان دائماً يشعر بتحسن فى اليوم السابق لمرضه . وخفت أن ينطبق ذلك على حالتى ، ولكن ثبت أنى كنت مخطئاً . ففى الحقيقة ، فإن هذا الإحساس بالصحة لم يدم نفسياً فقط ، بل جسمياً كذلك . فى البداية لم ألاحظ التغيير لأنى كنت معتاداً على التعايش مع المعوقات ، ولكن لم يمض وقت طويل حتى أدركت أنه قد حدث الشئ الكثير فى وقت الصلاة فى تلك الحجرة الصغيرة ، مماكنت أقدره . لقد قلّت أعراض الشكوى الصحية ثم زالت مرة واحدة . لقد أعتقد دكتور للويد جونز أن ذلك كان مثالاً على الشفاء الفورى ، وقد ذكر هذه الحادثة فى معرض تاريخ حياته .

ومع أنى رحبت بالصحة التى حصلت عليها حديثاً ، إلا أنى كنت متردداً فى إعلان الشفاء لأنى كنت حريصاً ألا أكون سبباً فى جلب العار على الإنجيل . فى العصور الحديثة ، كانت هناك ادعاءات غير حكيمة قد تكون سبباً أن أكون شديد الحرص من هذه الناحية . ولا يرجع ذلك لعدم الامتنان من جانبى بل بسبب رغبتى فى الحفاظ على صدق الإنجيل وألا أجلب العار على اسم المخلّص . وردّى على جميع الذين لاحظوا التحسن الذى طرأ على صحتى ، القـــول الوارد فى (١ صم ٧ : ١٢) : « إلى هنا أعاننا الرب » . وبالرغم من ذلك فقد أصبحت الأسابيع شهوراً ، والشهور سنيناً ، ولم تحدث لى أى انتكاسة بل أننى ظللت أتمتع بصحة ممتازة .

السنوات الزائدة :

كبر أولادى فى ذلك الوقت وكان عليهم أن يعتادوا على هذا الأب الجديد . وبمرور السنوات بدأت أدعوها السنوات الزائدة ، والآن أشعر وكأنى لم أكن مريضاً على الإطلاق . وتضاءلت هذه الذكريات تدريجياً عندما استبدلت بحياة حافلة نشطة . فاليوم الذى وعظت فيه فى تلك المناسبة التى لن تنسى فى حياتى ، كان بداية لنبتة صغيرة - مجرد شئ صغير وضعيف ، ولكنها اليوم مصدر فرح لمن ينظرونها فى رونقها وجمالها . إن هذه النبتة أصبحت شجرة كبيرة تذكرنى بصلاح الرب . ومضت عشرون سنة الآن ، وقد وصلت لسن متقدمة . فلم يكن أحد يصدق ، بما فيهم نفسى ، أن يكون هذا ممكناً . وفى العام الماضى احتفلنا بعيد زواجنا الأربعين وأخذنا صورة

لى ولزوجتى مع أبنائنا الثلاثة وشريكات حياتهم وثمانية أحفاد . وعندما أراها أقف صامتاً معطياً الشكر لمن يصنع كل شئ حسناً .

وفى نفس الوقت أضيف قائلاً : « إن الكفاية ليست فى الصحــة أو المرض ، فى الضعف أو القوة ، بل فى الرب نفسه » . قال آمى كارميكل Amy Carmichael : « السلام يكون فى القبول » . وهذا السلام من الله وحده وهو شئ ثمين نبتغيه كلنا .

كم صالح ذلك الإله الذى نعبده

فهو صديقنا الأمين غير المتغـــــــــــير

ومحبته عظيمة كقوتـــــــه

وليس لها مقياس أو نهايـــــــــــــة !

يسوع هو الأول والآخـــــــر

وروحه تهدينا حتى نصل للوطن السماوى سالمين

سوف نحمده على كل ما مضى

ونعهد إليه بكل ما هـــــــــــو آت

(Joseph Hart)

جوزيف هارت

{ ٩ }

إسمـــة دنكــان

كانت حياة العزوبة تمنحنى راحة واطمئناناً معظم أيام حياتى . وكنت أذهب لمدرسة للبنات فقط ، ولكنى كنت أستمتع بصداقة الأولاد ممن هم فى سن المراهقة فى دروس الرقص ، وخلال المناسبات المدرسية وفى رابطة الشباب بكنيسة رويسلو باسكتلندا فى مسقط رأسى فى اردين فى أواخر سن المراهقة كانت هناك صداقتان مهمتان بالنسبة لى ، وكانت الثانية تعد صداقة جادة من الطرف الآخر ، ولكنى لم أكن مهيأة لذلك . ومنذ سن الحادية عشرة قد تأكد لى أن مهنتى هى التدريس ، وعندما تيقنت من ذلك بعد أن أصبحت مؤمنة فى سن التاسعة عشرة ، لم أكن أتطلع فى السنوات التالية إلى الزواج والأطفال . فقد شعرت أن حياة العزوبة تعطينى الحرية للاستجابة لقيادة الله .

وحيث أنى نشأت فى أسرة مؤمنة مواظبة على حضور الكنيسة ، لا أتذكر وقتاً لم يكن الله كل شئ بالنسبة لى ، ولكن عن طريق اتحاد جمعيات الكتاب المقدس قابلت أناساً كان يبدو أنهم يعرفون يسوع كشخص حقيقى . وعندما كنت على وشك ترك المدرسة ، أصبحت عضوة فى الكنيسة وأخذت على نفسى عهداً أن أسلم حياتى للرب . ولكن فيما بعد ، فى أثناء حضورى أحد الاجتماعات فإن كلمات يسوع القائلة « ليس أحد يضع يده على المحراث وينظر إلى الوراء يصلح لملكوت الله » (لو ٩ : ٦٢) ، دفعتنى لمواجهة حقيقة أن اتِّباعى له لم يكن كاملاً وأن مصيرى هو العزل من ملكوت الله . وحيث إننى كنت أحب الله ، واحتمال إبعادى عنه كان أمراً لا أستطيع تصوره ، فقد أخذت بنصيحة صديقة بأن أدعو يسوع ليدخل حياتى ، وفى أغسطس عام ١٩٦٠ ، اختبرت حياة جديدة كمسيحية مؤمنة .

مات والدى فجأة عن عمر يناهز الثامنة والخمسين ، وكنت فى السنة الأخيرة للتدريب لأكون معلمة ، وكنت أفكر فى التقدم لوظيفة فى منطقة سترلنج شاير حيث كان يوجد بعض الأصدقاء

المقربين ، وحيث كانت قريبة من جلاسجو وأدنبرة التى كانت تشتهر بقوة نشاط اتحاد جمعيات الكتاب المقدس . وعلى الرغم من أن والدتى لم تكن لتقف فى طريقى ، لكنى شعرت أنى لن أكون سعيدة بتركها . كان علىّ أن أتخلى عن خططى حتى المستقبل القريب . قدمت طلباً للحصول على وظيفة فى مدينة ابردين وعينت فى مدرسة من أصعب مدارسها . ولكن الله كان له رأى آخر ، وفى أغسطس عام ١٩٦٤ ، بدأت عملى الذى اخترته كمدرسة مساعدة لتدريس اللغة الإنجليزية والتعليم الدينى فى المدرسة العليا للبنات فى ابردين ، حيث كنت طالبة منذ التاسعة من عمرى . ولعلم أختى أننى من النوع « المثابر » فقد أعلنت أنها تتصور أنى سوف أعتزل العمل بعد حوالى أربعين سنة بعد ذلك من نفس هذه المدرسة !

وقرب نهاية العشرينات من عمرى ، كنت أحاول أن أستكشف أعمالاً أخرى . وحيث أنه لم يكن لى شريك حياة لآخذه فى الحسبان ، وحيث إننى كنت واثقة أن أمى كانت قادرة على التعامل مع وضعها كأرملة دون مشاكل ، طرقت الأبواب لأرى ما سيحدث . ولم يفتح أحد لى الباب ، فواصلت عملى كمدرسة ، ووجدت فى هذه المهنة السعادة والإنجاز . ولكن الرب كان له تخطيط آخر بالنسبة لى .

الله يقودنى فى الطريق :

« هذه وظيفة جيدة بالنسبة لك يا إسمة » . كان ذلك فى يونيو ١٩٦٩ ، وكان أعضاء لجنة جمعية الكتاب المقدس وفريق الصلاة يناقشون الحاجة لعاملة جديدة فى هيئة شرق اسكتلندا عقب مرض واستقالة عضوة تدعى شيلاكيل باترك . وهنا دوّت الضحكات فى أنحاء الحجرة ، وقد غطت ضحكاتى على الجميع . لم تكن تلك الوظيفة تخطر ببالى إطلاقاً ، ومع ذلك فقد كانت هذه دعوة الله . ولكننى كصموئيل ، كنت بحاجة لسماع صوته مرتين أخريين فى الصيف المقبل قبل أن أتأكد من ذلك .

كان تركى للمنزل فى أبريل عام ١٩٧٠ ، لكى أعمل فى أدنبرة تحدياً بالنسبة لى ، ولكنه كان سبباً للحزن الشديد لأمى . إنها لم تكن لتمنعنى ، حتى عندما عانت من أزمة قلبية بعد عدة شهور ، وتم تشخيص مرضها بأنه ذبحة صدرية . كان قلقها بشأن ما اتخذته من قرار ،

يرجع لخوفها عليَّ . لقد تخليت عن وظيفة ممتازة فى مدرسة ذات سمعة لألبى دعوة قد تكون صفقة خاسرة . ولكن عندما رأت كيف أقلمت نفسى مع دورى الجديد ، وكيف كنت فرحة بالدعوة لتولى المسئولية عن عمل جمعية الكتاب المقدس فى شرق اسكتلندا من ساحل موراى إلى الحدود ، استراحت وكانت سعيدة لأجلى . وبمضى السنوات ، رحبت بزميلاتى وصديقاتى الجدد الذين اصطحبتهم لمنزلى وبدأت تحبهم . وقد أصبحت هى أيضاً عزيزة على قلوبهن .

وأثناء السنوات التى اشتركت فيها فى العمل الميدانى لجمعية الكتاب المقدس ، كانت حياة العزوبة ميزة كبرى لى . فكنت حرة فى السفر بحرية إلى أى مكان ، ووجدت أنه من السهل أن أحصل على مكان للإقامة . إن عدداً كبيراً من المدرسات والأخريات اللاتى كونت صداقات معهن قد أعطوننى نسخاً من مفاتيح منازلهن وكنت أدخل وأخرج طوال مدة زياراتى ، وأنا أقضى وقتاً كافياً معهن حتى تنمو الصداقة وتصبح الرابطة أقوى ، مع إتاحة الفرصة لنمو هذه الصداقات دون تحملهن عبء استضافتى . لكن من مساوئ حياة العزوبة أنه كان من السهولة أن أدع العمل يسيطر على حياتى . ولعدم وجود شخص أهتم به ، فقد كنت أعمل طوال النهار كل يوم لمدة أسابيع بكاملها . ولم يكن من السهل دائماً معرفة ما هو العمل . فالحدود الفاصلة بين العمل ومجرد المعيشة كانت غامضة أو غير موجودة حيث إنى كنت أحب عملى ، هل كان جزءاً كبيراً منه ليس هو ما كرست وقت فراغى بحماس له فى أيام التدريس ؟ - فقد واصلت العمل فيه وحسب . لقد كنت أشعر بالإثارة على الدوام لامتياز القيام بالعمل الذى كنت أؤديه .

الأيام الصعبة القادمة :

ثم بدأت المشاكل ، فقد كان من الصعب أن أظل فى حياة العزوبة . ماتت أمى فجأة ، أثناء قيادتى لأحد المعسكرات الصيفية فى Seamill ، اتصلت بى خالتى تليفونياً أثناء تناول طعام الغذاء - « يا إسمة ، عليَّ أن أخبرك أن أمك ماتت » . وقد تصورت بطريقة ما أنى سوف أكون فى المنزل عندما يحدث ذلك . ففى بعض المرات السابقة ، كنت أذهب إلى حجرتها فى الصباح ، وعندى شبه توقع أنها قد أرخت قبضتها المهتزة وغير الثابتة على الحياة ، ولكنها كانت تتماسك من جديد . لقد ظلت حياتها مهددة فترة من الوقت . فهى التى أتذكر بوضوح منذ أيام الطفولة

أنها كانت تمشى بمعدل سرعة معين ، وقد كان من الصعوبة بمكان أن أجد لها نداً ، كانت تحتاج لوقفات راحة متكررة لتستند على حوائط الحديقة عند عودتها من المحـــلات التجارية القريبة .

لم أكن بالطبع لوحدى تماماً . لم أكن قريبة من أختى (جينى) فى أيام الطفولة والمراهقة . وككثير من الأخوات ، فإذ كان الفارق فى العمر بينى وبينها ١٨ شهراً فقط ، كانت هناك حالة من العداء بيننا . ولكن عندما كبرنا ، فإن الظروف قد قربتنا معاً وأصبحنا صديقتين حميمتين . والآن فإن الحاجز الحقيقى الوحيد بيننا كان الخمسمائة ميل بين ابردين وبيتها فى هرتفورد شاير، وكم أشكر الله لأن خالتى التى أبلغتنى بوفاة أمى كانت تعيش مع أختها فى مكان قريب منى . لقد عادت لإبردين كأرملة ، فى أوائل الثمانينات عندما تقاعدت أختها عن العمل . ولقد كانتا تقدمان المساعدة لأمى عندما كنت بعيدة عن البيت ، والآن فإنهما تقدمان لى يد المساعدة .

منذ عدة سنوات مضت ، ومن واقع اختبارها ، فإن (بيلى) التى عشت معها أولاً فى أدنبرة ، كانت تطلعنى على أشياء وجدتها صادقة حسبما اكتشفت فى حياتى ، ومن بين تلك الأشياء ، الصدمة المعينة التى أصابتها وهى تحيا حياة العزوبة بسبب موت عائلها الثانى . وكم كان الوصف الذى ذكرته بيلى دقيقاً ، فقد تأكد لى بما لا يدع مجالاً للشك أننى كنت أمثِّل المرتبة الأولى فى حياة إنسانة أخرى . كانت لى صديقات حميمات يمكننى أن ألجأ إليهن ، ولكن كان لهن عائلاتهن . والصديقات اللاتى يعشن حياة العزوبة كن مسئولات عن والديهن أو كن يعشن على مسافة بعيدة عنى . كانت جينى بعيدة ، وقد كانت لها حياتها الخاصة ودائرة صديقاتها . وفى حين أنه كان من الواضح أنها تشاركنى نفس الخسارة لفقدان أمّنا ، إلا أننى كنت أحيا حياة مستقلة عندما عادت إلى البيت .

من أنا ؟

لقد أجبرنى موت أمى على إعادة تقييم هويتى الخاصة . فبالنسبة لمركزى كمسيحية مؤمنة ، لم يتغير شئ ، ووجدت راحة كبرى فى حضرة إله كل تعزية ، وفى الصلوات المستجابة لصديقاتى العديدات . ولكن بالنسبة لمجال العلاقات الإنسانية كان الوضع مختلفاً ، وكان علىَّ أن أتخذ خطوات تساعد فى تحديد مسار حياتى .

لقد ذكرت خالتى ، ولكن كان لى أقارب آخرين أيضاً . كان لأمى عدد من الصديقات الحميمات أيضاً ، وكنت بحاجة لاتخاذ القرارات بشأن هذه العلاقات . كان دورى فى اتخاذ هذه القرارات ثانوياً ، فإذا كان لابد من استمرار هذه العلاقات ، فكان علىَّ أن أقوم بالمبادرة . لقد ارتكبت بعض الأخطاء ، وأخشى أن يكون بعض صديقات أمى قد شعرن أننى قد تخليت عنهن . ولكن بمضى السنين ، استطعت أن أزور البعض وأتصل بالبعض الآخر بإضافتهن إلى القائمة الطويلة لأولئك اللاتى يتلقين أخباراً مسبقة عنى فى كل عيد للميلاد .

ولو كنت قد تزوجت ، فإنى متأكدة أن قيمة هذه العلاقات – ومسئوليتى عنها – كما بدت بهذه الأهمية الكبرى . وإنى أشك أن كنت أستطيع أن أخصص وقتاً لها . فعندما يكبر الإنسان فإن أمور الماضى تأخذ شكلاً جديداً أو ربما يكتشف الأهمية التى كانت تحتلها دائماً .

وبالنسبة لصديقات أمى ، فقد كنت ابنة (إلسى) . وبالنسبة لصديقاتى ، فقد كنت الإنسانة التى عرفوها وشاركوها تجاربها ، وبالنسبة لزميلاتى ومعاوناتى فى جمعية الكتاب المقدس ، فقد كنت أعمل بجد ، المخلصة تماماً للعمل الذى دعاها الله إليه . وبالنسبة لنفسى فقد كنت ... هنا تعثرت ، لأنى واجهت سؤالاً لم أستطع الإجابة عليه فجأة . وفى ذلك الوقت لم أكن أدرك ما يحدث بداخلى . كل ما عرفته أن الأشياء اليقينية فى الماضى كانت بعيدة عن متناول يدى ، وكذلك الحاضر والمستقبل ليس مؤكداً .

لو كنت قد أدركت ما يحدث ، ووجدت شخصاً أشاركه مشاعرى فلربما اختلفت الأمور . اقترحت إحدى زميلاتى فى جمعية الكتاب المقدس أن أتصل بإحدى المعاونات للجمعية وهى تعمل طبيبة ، ولكن كانت تعوزنى الثقة لأن أقترب منها . وقد كان صعباً علىَّ أيضاً أن أصلى لأجل مشكلاتى . فما كان يطلق عليه « الضمير الإنجيلى dratted » كان يلحّ علىَّ أن أجد مصادر فى عقيدتى . تمكننى من الانتصار ، ولكننى لم أستطع أن أتوصل إليها . ابتعدت عن الكنيسة شاعرة بالذنب والبؤس والارتباك ، وكانت كلمات الكتاب المقدس ،الترانيم والعظات تؤكد عدم قدرتى على أن أساعد نفسى أو أجد معونة فيما كنت أؤمن به مدة طويلة من الزمن . كانت الصديقات مقربات جداً حتى إنه لم يكن باستطاعتهن أن يناقشن بشكل واضح ما كنت بأشد الحاجة لأن أتحدث عنه ، لو أننى استطعت أن أعبر عن مشكلاتى . أو كن مشغولات

باهتماماتهن الخاصة لدرجة أنهن ، وأنا ، شعرنا كلنا بالإحباط . وكلما زادت التعاسة ، تسللت المرارة إلى داخل نفسى .

كان جزء من الحل موجود فى تقدير أهمية علم الحساب ! فقد كنت فى منتصف الأربعينات ، وهو الوقت الطبيعى للتغيير الذى يجلب المتاعب لكل واحد . أضف إلى ذلك موت أمى (مع الحزن الذى لم يخطر على البال لموت أبى والذى لم يكن باستطاعتى التغلب عليه فى ذلك الوقت) ، فى الوقت الذى كانت الضغوط ثقيلة علىَّ من قبل . وبينما كنت أستمتع بالمعيشة بمفردى ، كان لى دائما بيت أرجع إليه ، البيت الذى ولدت فيه ، ولكن لعلمى أنه لا معنى لاحتفاظى بمنزل مبنى فى أواخر الثلاثينات ، ويتطلب الآن عدة إصلاحات والكثير من المال ، فضلا عن أنه كان أكبر من أن أقيم فيه بمفردى ، مما جعلنى طيلة ثمانية شهورأبحث عن شقة ، أعلنت فى نهايتها عن بيع منزلى . وكان قدوم المشترين يحمل فى طياته الكثير من الذكريات التى كادت تضيع فى غياهب النسيان ! لقد أزال البيع أساساً آخر من أساسات حياتى : فلكم أحسست بعدم الأمان !

إلى أين أذهب ؟

ولكننى مضيت قدماً . أعتقد أن الله قادنى إلى (بيتر كلتر) على حافة منطقة (ديسيد) فى ابردين ، وبعد ثلاثة أسابيع من شراء الشقة ، كان قد تم بيع منزل العائلة . وكنت أعد للكثير من التغييرات . كنت على وشك أن أترك جمعية الكتاب المقدس ، بعد أن خدمت لمدة خمس سنوات أعقبتها راحة لمدة سنة . أوشكت مدتان متعاقبتان كل منهما خمس سنوات على الانتهاء . وقد كنت مقتنعة ، أنه كما أن الله قد دعانى إلى هذا العمل ، فإنه يدعونى أن أتركه . ومع إنى كنت متعبة فى العمل ، إلا أننى بالتأكيد لم أكن قد مللت منه .

إن بعض التغييرات تعمل على تخفيف الأعباء . كنت مقدمة على تغييرات جديدة ، وكنت متأكدة أن الله ممسك بزمام الأمور . ومع ذلك فقد كنت مندهشة ومكتئبة وأنا ألاحظ ثلاث من زميلاتى فى جمعية الكتاب المقدس تواجهن البطالة أو العمل المؤقت . ولكن فى خلال ثلاثة شهور لم أحصل على وظيفة فقط ، بل وجدت نفسى فى وظيفة ممتازة ، العمل كمدرِّسة نائبة لمدير

التعليم الديني في أكاديمية (كيماني) . وصدق أو لا تصدق فقد وجدت اثنتين من زميلاتي الجدد تعيشان على بعد بضع مئات من الأمتار مني مما أتاح لنا أن نسافر معاً مسافة الثلاثين ميلاً في رحلة دائرية إلى المدرسة . وبعد ما كنت أركب السيارة آلاف الأميال في العمل الميداني في جمعية الكتاب المقدس ، وليس معي سوى بعض الأفكار والصلوات ، أو الراديو ، فقد استغرقت بعض الوقت للتكيف مع النظام الجديد بأن أبدأ يومي مع اثنتين من زميلاتي ، كانتا كلتاهما متزوجتين .

كان لديهما كالعادة الشئ الكثير لتقدمانه مما كان يخفض من مشكلات العمل والبيت ، بينما كنت أجلس صامتة في معظم الأحيان . وعندما تحضر واحدة فقط كنت أسهم بالقليل من الحديث ، ولكن كاستجابة في العادة فقط لما قالته هي . كان هناك الكثير لأتحدث عنه ، كنت أجد مصاعب كبيرة في العودة لفصول الدراسة ، خاصة وأن صغار المراهقين مشهورون بإثارة المتاعب بالنسبة لمدرِّسة التعليم الديني . ومما زاد الطين بلة ، على الرغم أني لم أكن مدركة تماماً له ، فالتوتر الناجم عن كل هذه التغييرات كان يعصف بي ويجعلني في حالة يائسة . لقد كنت أشعر كما لو كنت أتسلق جبلاً على الدوام ، على يديّ وركبتيّ . كان يبدو كما لو كنت أحرز قليلاً من التقدم ، ثم يحدث شئ ما أو يقوم شخص ما بدفعي للخلف ، ولأنني لم أكن معروفة لهم ، فإذا جاءت هذه الدفعة للخلف من صديق حميم أو ككلمة في سياق مسيحي ، فإن التعاسة التي كنت أشعر بها كانت أشد وأقسى . كان يبدو أنه حتى أولئك الذين كانوا يحبونني أكثر الكل كانوا يخيبون أملي.

ومن المفارقات بخصوص رحلات العودة للبيت من المدرسة ، أنه حيث أن زميلاتي كن يجدن ارتياحاً في التخلص من مشكلاتهن بالحديث عنها ، فعندما كان أزواجهن يعودون كن قادرات على الاستمتاع بقضاء الأمسية معهم . ولكني كنت آخذ مشاكلي معي للبيت ، الذي لم يكن فيه أحد يشاركني إياها . فكنت أعيد التفكير فيها مرات ومرات ، أو أحياناً أفكر فيها بصوت عال ، ولكنها لا تتوارى عني . كم كنت بحاجة لشخص أتحدث معه . بالطبع كان هناك التليفون ، ولكن عدم المشاركة العميقة مع شخص يعرف ظروفي زادت من إحباطي .

الوحدة والعزلة :

أصبحت حياة العزوبة عبئاً ثقيلاً عليَّ ، فقد زادت وحدتى وكنت فى الغالب أرجع من المدرسة أو من اجتماع فى المساء لأجلس فى السيارة مدة طويلة وعينىَّ مغرورقتان بالدموع ، أو أذهب إلى شقتى وأدور فيها بغير هدف ، مرتدية ملابسى كاملة ، لمدة ساعة أو أكثر . على العموم ، كنت أخفى تعاستى .

وفى النهاية ، ما كان يمكننى أن أخفى الأمر أكثر من ذلك ، وفى يوم الاثنين فى أحد أيام شهر ديسمبر ، شعرت بدافع لأعطى الفصول التى أدرِّسها بعض الأعمال والواجبات للقيام بها وأخذت عطلة باقى الأسبوع . ويا له من ارتياح يشعر به المرء أن يكون حراً بغير التزامات لبضع أيام قلائل ، بعيداً عن مصدر التوتر الذى كنت أعانى منه ! وفى النهاية ، امتدت العطلة حتى منتصف يناير . لقد ساعدنى الطبيب لأفهم شيئاً مما كان يحدث ، وشجعنى بنوع خاص ألا أشعر بالفشل بأى حال من الأحوال .

قضيت ليلة العام الجديد ، كما كنت أفعل دائماً ، فى احتفال منزلى بجمعية الكتاب المقدس ، وسط عدد كبير من صديقاتى كان أغلبهن غير متزوجات . وقد لقيت قدراً كبيراً من التشجيع والقوة الدافعة التى كنت بحاجة إليها من الناحية الإنسانية . ولكن العون البشرى لا يفيد كثيراً . وبانتهاء العام وبداية العام الجديد ، وقد كنت فى الخدمة الليلية فى الكنيسة المعمدانية فى (بتلوكرى) ، تسللت إلى الخارج بعد انتهاء الاحتفالات السعيدة .

إن الله أمين : والعون كان قريباً . وأنا معتادة على القراءة كل صباح من كتاب التأملات الذى عنوانه (النور اليومى) Daily Light ، وإذا بهذه الآية تقفز من الصفحة متحدثة إلىَّ بكل قوة : « أنسى ما هو وراء .... وأسعى نحو الغرض لأجل جعالة دعوة الله العليا فى المسيح يسوع » (فى ٣ : ١٣ - ١٤).

وفى الحال ملأنى الروح القدس بقوته ، لقد شجعنى المعزِّى وبدأت أتطلع إلى الأمام . كان أمامى طريق طويل ، ولكن لم تعد الأمور سيئة كما كانت مرة أخرى .

منجـو :

لأى كنت أحب الكلاب دائماً فقد قررت أن أول شئ أمتلكه عند اعتزالى العمل سوف يكون كلباً . ولكنى أدركت خلال الأسابيع التى غبت فيها عن المدرسة أن الفراغ الذى يملأه كلب ، بحاجة أن يمتلئ قبل تاريخ اعتزالى . وعند عودتى من بتلوكرى ، طرقت على باب بيت الكلاب والقطط . فاعتذر المساعد قائلاً « يوجد عندنا ستة كلاب فقط من الذكور ، ولا توجد كلاب من الإناث » . لقد أردت كلباً : وقد قررت أن أدعوه منجو ، وها هو أمامى ، عمره ستة شهور ، مثيراً للشفقة ويشعر بالوحدة وهو مهجن من سلالتى اللبرادور والكولى ، أمسكه حارس الكلاب وهو يرتعش فى حظيرة الكلاب من الوحدة ، وقلت : «سوف آخذه » . كان القرار سهلاً ، كان بحاجة للحب وكنت أنا فى أشد الحاجة لشئ أحبه . وفيما بعد بدأت أدرك أنه كان قادراً على منحى الكثير من الحب فى المقابل - وإنى أؤمن أن الذى يرى العصفور وهو يسقط هو نفسه يرعى ذلك الكلب الصغير . ومن المستحيل أن أقدر إلى أى حد قد ساهم منجو فى شفائى .

تلت ذلك أشياء كثيرة أن طبيبى الذى يشرف على علاجى قد أظهر براعة شديدة ، فبعد أن كنت أراه بانتظام حتى أوائل الصيف ، طلب منى أن أعود فى الخريف . وبينما كانت أوراقى الطبية أمامه ، سألنى عما إذا كنت سمعت عن مرض يطلق عليه (S A D) أى - الاضطرابات العاطفية الموسمية - وهو مرض يؤثر على عدد كبير من الناس عندما يقترب الشتاء وتصبح الأيام قصيرة ، فيجعلهم غير سعداء ومكتئبين . لقد كان واضحاً أن أسوأ فترات حياتى كانت بين شهرى نوفمبر ومنتصف فبراير . وقد ظللت سنين عديدة لا أستطيع الاستمتاع بموسم أعياد الميلاد ، وقد نسبت التحول الطفيف نحو الأفضل قرب نهاية شهر فبراير إلى حلول الذكرى السنوية لموت والدى . وعندما تعلمت شيئاً أكثر عن مرض الـ (S A D) ، وأخذت أسترجع ما حدث طوال سنوات عديدة ، استطعت أن أتصور نفسى وأنا أحمل حقيبة على ظهرى مملوءة بالرمل كالتى يحملها الجنود ، وكان هذا الشعور بداية من أوائل أكتوبر حتى شهر ديسمبر ، مما كان يجعلنى أنحنى تحت ثقلها . وقرب نهاية فبراير كانت الحقيبة تنثقب ثقباً صغيراً يقطر منه الرمـل ، وحتى شهر يونيو ، تكون الحقيبة قد فرغت . ولكن لم أكن أستطيع أن أضع الحقيبة على الأرض ، وحيث إن التأثير كان تراكمياً ، فقد كان الخريف مليئاً بسحب تنذر بالتأثير المدمر

لقدوم الرمل مرة أخرى .

أتاح لى طبيبى المعالج الفرصة لأشترك فى التجارب على عقار كان فى طور التجربة على المرضى الذين يعانون من الـ (S A D) وقد أعطيت دواء لتهدئتى ، حيث أن التجارب التى تجرى كان لها نتائج غير واضحة ، ماعداى أنا ، فقد كانت النتائج مذهلة . فعند انتهاء التجارب وتوقف استعمال الدواء ، كنت إنسانة جديدة ، فقد تخليت عن الحقيبة الرملية تماماً ، ولم تعد تأتينى مرة أخرى طوال ست سنوات ، وكم أنا ممتنة لتلك الحرية التى أستمتع بها .

فجر يوم جديد :

بعد أن اجتزت فى المياه العميقة ، أستطيع مرة أخرى أن أشهد للاكتشاف الذى وجدته ، وهو أن حياة العزوبة هى حالة تُقدّم قناعة إيجابية ، وفرصاً خاصة . لقد تعلمت أن أبحث عن فرص للمساهمة فيها ، وأن أتحدث من خلال المشاكل قبل أن تزداد . لقد زاد تقديرى لأفراد عائلتى الذين مازالوا يحيطون بى وبنوع خاص صداقة أختى زيادة كبيرة ، مع أننا مختلفتان . وكان امتيازاً كبيراً بالنسبة لى عندما وجدت أن تجربتى تساعدنى على التعاطف مع الآخرين الذين يجتازون فى أوقات عصيبة .

وقد كان للسنوات الست الأخيرة بالطبع ، نصيبها من المشكلات ، ولكن الله استمر يرشدنى ويعطينى القوة . وقد كان لها تحدياتها أيضاً . وقد تصادف الاعتزال المبكر مع آخر قسم فى التدريب كقارئة فى كنيسة اسكتلندا ، وأتوقع أن يستخدمنى الله فى مناطق بعيدة عندما تستدعى الضرورة ، حيث أنه لكونى غير مرتبطة بعائلة ، فأنا حرة فى أن أبتعد عن المنزل مدداً طويلة . وإنى أتطلع بشوق للذهاب إلى مكان يريد الله أن يرسلنى إليه . هاأنذا ، يارب .... وأتوقع ، من آن لآخر ، أنى سوف أستعد لقيادة خدمات يعلن عنها بنوع خاص أنها لجميع الأعمار ، وسوف أدعوها فى كل مكان خدمات لجميع الأعمار ، وأتذكر كيف أن استعمال لفظ خدمات للعائلة قد زاد من شعورى بالوحدة . إن العائلة المسيحية حقيقة ، ولكنى أتساءل عما إذا كان الذين يعيشون بمفردهم ، سواء لم يتزوجوا إطلاقاً ، أو فقدوا أزواجهم وزوجاتهم أو يعيشون لوحدهم لأى ظرف آخر ، يشعرون باطمئنان أنهم يعاملون كإخوة وأخوات .

وأعمام وعمات وأجداد وجدات وهكذا من قِبل بقية أفراد عائلاتهم .

إن خدمات جميع الأعمار تتسع للجميع وترحب بكل واحد بحرارة . فإذا كان الذين يعيشون بمفردهم لا يجدون من يحتويهم فى شركة القديسين ، فهم وحيدون بحق .

{١٠}

جوناثان لامب

إن التعايش مع إعاقة متوسطة منذ الطفولة المبكرة يجعل الشخص فى النهاية إنساناً عادياً . فأنت لا ترى أنك مختلف عن الآخرين ، وتتماثل توقعاتك من الحياة مع الآخرين ، وأخيراً فإن القدرة الحركية التى فيك وتعاملها مع المؤثرات الخارجية تصبح طبيعية حتى أنه تكاد تكون مفاجأة حين يتعامل معك المقربون إليك كشخص معوّق . هكذا كان الحال بالنسبة لى لدرجة أنى أعترف بأنى أقوم بعملية خداع حين أسهم فى هذا الكتاب ، فى حين أن عدداً كبيراً من الناس قد مروا بظروف أشد وأقسى من الظروف التى مررت بها مما جعل إعاقتهم من النوع الحاد .

ولكن كلاً منا له شخصية فريدة ودعوة مسيحية . إن أوجه التلاقى بين شخصية كل منا واختبارات كل منا فى الحياة ، وتأثير نعمة الله حتى وإن كانت مختلفة فى كل منا عن الآخر ، إلا أنها تلقى الضوء على الأشياء المشتركة التى يمكن أن تقوى وتشجع شعب الله فى ظروفهم المختلفة .ربما يساعد اختبارى الخاص الآخرين ، ومن هذا المنطلق أقدم هذا السرد الموجز لقصتى.

المؤثرات التى شكلت شخصيتى :

بعد أن ترك والدى المدرسة فى سن الثانية عشرة ، بدأ حياته العملية كمساعد لبائع اللبن المحلى فى شمال لندن . ثم أخذ يعمل كسائق لباصات لندن عدة سنوات ، كنا نعيش فى بيت صغير له سور تمتلكه إحدى شركات لندن . لا يمكن أن توصف حياة والدى بأنها تتميز بالإسراف أو التظاهر ، ولكن من الصعب أن أكون مبالغاً فى زيادة تقدير تأثير والدى على أفكارى الخاصة من جهة العالم من حولى وعلى نموى الروحى . إن روحه الرقيقة الوديعة ، واستعداده لخدمة الآخرين وروحانيته ، وحتى عينيه اللامعتين وابتسامته الحقيقية ، كلها قد أثرت علىّ منذ نعومة

أظفاري . لقد أعطى كل طاقته في العناية بنا وبناء كنيسة صغيرة في مدينتنا .

تبرز حادثتان في طفولتي المبكرة كان لهما ذكريات نابضة بالحياة بنوع خاص ، من بين الأحداث المعتادة للنشأة العادية . في أحد الأيام جاء كارز بالإنجيل لكنيستنا الصغيرة ، حيث كان والدي يشرف على منتدى للأطفال مساء كل اثنين . ومع أني كنت أبلغ الخامسة من عمري فقط ، إلا أني انضممت للأطفال الأكبر سناً ، وهذه ميزة من الميزات القليلة لأب صاحب الكلمة العليا في الجماعة . وبعد مقدمة بسيطة ، دعا المبشر الكارز كل من يرغب أن يصبح مسيحياً أن يأتي للأمام . فهرول عدد من الأطفال متقدمين للأمام ، وكنت بينهم . ولما لاحظ الكارز أني أصغر من الباقين بكثير وضع يده على رأسي وجعلني أدور ثم أمرني بالذهاب إلى مقعدي .

إني لا أحمل أي ندوب عاطفية ، على الأقل نتيجة لهذه التجربة ! فقد كان ذلك شيئاً يمكن تفهمه من ناحيته ، فقد كان يخشى أن تكون استجابتي بلا تفكير ، نتيجة لضغط غير مناسب على طفل صغير يسهل التأثير عليه . ولكن استجابتي للرسالة المسيحية كانت استجابة حقيقية بما فيه الكفاية . أتذكر تبكيتاً قاهراً : إني كنت بحاجة للصفح . ولذلك عندما عدنا للمنزل ، فإن والدي الذي شهد الوقائع خلال تقديم الدعوة ، شجعني أن أصلي معه في تلك الليلة إذا كنت أريد بحق أن أصبح عضواً في عائلة الله ، وهكذا فعلت . وبناء على فهم طفل صغير لموت يسوع لأجله ، طلبت المغفرة . وهكذا بدأت رحلة الإيمان والتكريس الذي دام ٤٠ سنة .

والحادثة الثانية حدثت بعد بضع شهور من الحادثة الأولى . فذات صباح نزلت من الفراش وساقي لا تقدر أن تحملني . أتذكر أني كنت أضحك لذلك ، بالرغم من نظرة القلق على وجهي والديَّ ، في كل مرة كنت أحاول أن أقف كانت ساقيَّ تلتويان تحتي . واخيراً أظهرت الفحوص أني كنت ضحية لما اتضح أنها الموجة الأخيرة من شلل الأطفال التي اكتسحت لندن . لقد كنت منذ فترة وجيزة في المستشفى لاستئصال اللوزتين وقد أدى ذلك لتعرضي للعدوى . وبعد عدة أيام تأثرت ذراعاي وساقاي .

العطف البشري والإلهي:

ولكوني أب الآن فإني أستطيع أن أتصور شيئاً من الدوامة التي لابد أن والديَّ قد اختبراها .

ولكن طوال مدة طفولتى لا أتذكر شيئاً من إحساسهما بالإحباط لأجلى ، ولا إحساسهما بالغضب من نحو الله أو أى تعبير عن الحيرة والارتباك من جانبهما . فالبيئة التى نشأت فيها لم تكن إلا بيئة تقدم العون وتظهر الشفقة .

كان أبى يحملنى إلى أعالى التلال وأسافلها فى أثناء النزهة العائلية ، ويشجعنى على القيام بأكبر عدد من الأنشطة ، وفوق الكل ، أن أداوم على ثقتى بالله . ومثل هذه الذكريات قد حفزتنى أن أتبع نفس هذا المنوال الثابت مع أطفالى خلال تقلبات مرحلة الطفولة والمراهقة . إن رد فعل والدىّ ما هو إلا انعكاس باهت لعطف الله وشفقته على أبنائه . ومع ذلك ففى معظم الأحيان فإنه عن طريق هذه الأمثلة البشرية ، نستطيع أن نفهم بصورة أكمل الاهتمام الإلهى بنا وبما هو لخيرنا .

لى بعض الذكريات القليلة عن المتاعب العاطفية . أولاً ، أتذكر أنى لم أكن أريد أن أقيم فى المستشفى فى أول عملية جراحية من عدة عمليات أجريت لى . فتوسلت إلى والدىّ كثيراً أن ينتقل واحد منهما ليقيم معى فى العنبر . لاتزال الضوضاء الغريبة وأنوار الليل الخفية من الذكريات التى لا تنسى ، ولكننى سرعان ما أصبحت جزءاً لا يتجزأ من مجتمع المستشفى ، واستمتعت بالتحرك بسرعة خاطفة فى المستشفى على كرسى متحرك .

الصعوبة الثانية حدثت عندما أدركت أخيراً ، فى سن العاشرة أو الحادية عشرة ، أنى لن أستطيع التخلص من هذه الحالة ، ولكن الإعاقة سوف تلازمنى بقية حياتى . وعندما بدأت أتحرك فى أوائل سن المراهقة كان ذلك شيئاً يصعب تحمله . وبعد ذلك بعدة سنوات اكتشفت أن عدداً كبيراً من الناس فى كل أنحاء العالم كانوا يصلّون لأجل شفائى . كان المجتمع المسيحى الذى كنا ننتمى إليه صغيراً ، ولكن المؤمنين كانوا مترابطين ومتماسكين جيداً . ! لقد شعر والدىّ ، أنه على الرغم من أنى لم أكن قد شفيت تماماً ، إلا أنه ربما كان نموى الروحى الذى أعقب ذلك كان نتيجة لصلوات شعب الله فى أنحاء مختلفة من العالم .

وفى سن الحادية عشرة ، كان واضحاً أنى لن أستطيع الجرى مرة أخرى . إن ذراعى الأيمن وساقى الأيسر قد بدت عليهما علامات إيجابية تدل على الشفاء ، ولكن ساقى الأيمن بنوع خاص كان ضعيفاً إلى حد بعيد (العضلة لن تشفى) . كان ذلك شيئاً محبطاً فى ملعب المدرسة

الابتدائية ! ولكن كان عندى إصرار عنيد مذهل بأنى سوف أشترك فى كل شئ يمكننى أن أؤديه بكل طاقة مطلوبة تحت تصرفى . وفى كل مدرسة ذهبت إليها كان معلمو التربية الرياضية الحكماء ذوو الحنكة يبحثون عن طرق لترويض تلك الطاقة . وبعد عدة محاولات جراحية لتعويد ساقى اليمنى على التكيف ، أقبلت على سن المراهقة دون إعاقة خطيرة سوى فى ساقى الأيمن الذى كان أضعف وأقصر بكثير من الساق الأخرى ، مما تحتم معه أن ألبس حذاءً طبياً ،وأستعمل عصا للمشى . هذه الأشياء البسيطة أصبحت نفسية وليست عقبة جسمية ، وكمثال على ذلك ، مسايرة مناهج الجغرافيا الميدانية المدرسية مثال على ما أعانيه من إحراج حيث يضطر معلم الجغرافيا لحملى على امتداد الطريق ، أو البحث عن « بنطلون » يغطى ما كان يبدو لى أنه حذاء قبيح الشكل ، أو عدم القدرة على ارتداء الأحذية الرياضية الحديثة . فمن المدهش أن هذه الأشياء التى تبدو تافهة قد أثرت على رغبتى فى أن أجد قبولاً لدى أصدقاء المراهقة . ولكن بنعمة الله ، فإن مجالات أخرى فى حياتى قد مكنتنى من أن أتصل بأصدقاء بوسائل غير متوقعة ، سواء فى الموسيقى ، أو البرامج الاجتماعية ، أو النشاط المسيحى أو الرياضة التى تتطلب حركة أقل مثل تنس الطاولة . وكانت أيامى فى الجامعة بالمثل : انضمام فورى للاتحادات المسيحية نتج عنه العديد من فرص الصداقة ومجال واسع للنشاط ، وكان ذلك يعنى أن إعاقتى بدأت تتوارى فى الظل .

على الطريق :

كنت أقضى جزءاً كبيراً من حياتى فى السفر ، بالرغم مما أعانى منه من مشاكل صحية تتعلق بالحركة . فطيلة الـ ٢٠ سنة الماضية كان عملى فى الرابطة المسيحية للجامعات والكليات ، ثم فى الخدمة الكنسية ثم فى الرابطة الدولية للطلبة الإنجيليين ، قد جعلنى أجوب كل أنحاء الجزر البريطانية ومعظم دول أوروبا وأجزاء من الاتحاد السوفيتى السابق وأمريكا الشمالية وأفريقيا وهو ما كان يتندر به أصدقائى .وقال أصدقاء آخرون إن ذلك عمل من أعمال النعمة الإلهية التى قدمت لى شكلاً من أشكال التعويض عن تلك الجوانب التى تأثرت فى حياتى . إن كان الحال هكذا ، فهذا تعبير عن كرم الله العجيب ، لأن الخسائر التى تحملتها تبدو تافهة بالمقارنة بامتيازات عملى الحالى .

ولا شك أن للسفر ضغوطه وتوتره ولكن الأجهزة الحركية المستخدمة من قِبل معظم الناس من ذوى الإعاقات تعنى أن السفر الآن جانب معتاد وسهل نسبياً من جوانب حياتنا . وفى الطريق لاحظت أن الإعاقة فرصة أخرى للاندماج فى حديث مع آخرين . فمن المعتاد أن يقدم الناس العون (وبنوع خاص فى أوروبا الشرقية) ، ويسأل الناس عادة عن وظيفتى والسبب الذى يجعلنى أحمل عصا للمشى ، ومثل هذا الاهتمام يتيح لى فرصاً طبيعية للشهادة المسيحية الحساسة .

وما يبعث على التساؤل والحيرة فى نفس الوقت أنه نادراً ما توجه لى أسئلة عن إعاقتى من المسيحيين . إن غير المسيحيين يبدو أنهم أكثر صراحة ، أقل إحراجاً لى ، ولكنى لست متأكداً تماماً من كيفية تحليل هذا الفرق . هل المسيحيون أفضل تكيفاً مع الواقع ، وأكثر قدرة على قبول الناس كما هم ، دون الشعور بالحاجة للتساؤل ؟ ربما . هل ذلك يرجع لكونى من نفس العائلة ؟ إن زوجتى وأطفالى ، على سبيل المثال ، يقبلون ظروفى بطريقة طبيعية تماماً ، مع التوازن المثالى الذى يجمع بين التفهم والمساندة جنباً إلى جنب مع روح الدعابة والتهكم الرقيق الضرورى من آن لآخر ، مما يساعدنى على تجنب أى شكل من أشكال رثاء الذات ويجعل الأشياء فى حجمها الصحيح . إن رثاء الذات مدمر لقدرتنا على الحب ، ونحن بحاجة دائمة للآخرين ليقدموا لنا يد المساعدة ، ويساعدوننا على استعادة التركيز .

ومن الجانب الآخر ، فمن المثير أن غير المسيحيين يوجهون الأسئلة بطريق مباشـــر ، وكما ألمحت ، فإن ذلك يفتح الباب للنقاش المفيد . ولذا فإنى أؤكد على هذه النقطة ، فعند مقابلة شخص يعانى من إعاقة ظاهرة ، يجب أن نكون حساسين فى المناقشة ، ولا نوجه الأسئلة إليه بطريقة غير لائقة ، ولكن بطريقة طبيعية ومريحة ، طالبين منه أن يسرد لنا جزءاً من قصته . وسواء كان هذا الشخص مسيحياً أم لا ، فهذا يقودنا دائماً لتبادل الحوار ويقربنا من بعضنا البعض .

الإستقلال والحاجة للعطف :

يوجد فى ثنايا اختبارى شئ من التناقض يمكن للآخرين أن يتعرفوا عليه . فالأشخاص المعاقون مثلى يمكن أن يكونوا مستقلين ولكن بطريقة خاطئة ، فتنتابنا حساسية عندما يسأل

أحدهم متجاهلاً وجود شخص معاق قائلاً « هل يحب السُكّر ؟ » . فإننا نقوم بأعمال مضحكة مثل رحلات على كراسي بالعجل من مكان معين إلى مكان آخر .كل ذلك لأننا يجب أن نكون مستقلين معتمدين على أنفسنا . والبديل قد يعني الكف عن الكفاح لعمل شئ هام - فبالنسبة لبعض الناس ، قد يعني ذلك الكف عن الحياة ذاتها . إننا ننمي التصميم ، وربما التهور أيضاً ، ونحن نصرّ على أننا عازمون على تحقيق أغراضنا ، وعندما نضع أنفسنا بين يدي الله ، يمكن أن نكون مثمرين .

ومن جانب آخر - وهنا يوجد التناقض - فنحن غالباً أناس ، الذين من خلال اجتيازنا في التجارب الصعبة ، نحتاج للعطف والاهتمام الرعوي ، ونرى حاجتنا للثقة في الآخرين والاستفادة من المجتمع الحقيقي . وليس من السهل علينا كأنماط مستقلة أن نقبل المساعدة بالطبع ، وقد كان ذلك من وقت لآخر درساً صعباً كان عليّ أن أتعلمه . كما أن تنمية الاستعداد لقبول المساعدة ، حاجة أساسية لكل المسيحيين ، سواء كنا أصحاء الجسم أو لم نكن ، لأن الإيمان المسيحي ككل مؤسس على نعمة الله . إني أتطلع لتجربة الإعاقة الخاصة بي كمشجع دائم للشعور بحاجتي أن أتقبل العون .

فكلما عرضت عليّ مساعدة ، حتى بالنسبة لتلك الأشياء التي أعرف أنها في متناول قدراتي وأني أستطيع إنجازها بلا عون من أحد ، أحاول أن أستجيب بالقبول والامتنان . وأن الكبرياء أو الذاتية غالباً هي التي تثير رد الفعل الاستقلالي الذي يصر على القول :« إني أستطيع التصرف في هذا الأمر » . ولذلك فهذه الموضوعات متصلة ببعضها البعض : أهمية تأكيد العزيمة والإصرار ، الانضباط الشخصي ، رفض الاستسلام (وكل ذلك يمكن تدعيمه بنعمة الله ومنحه للقوة الداخلية) ، جنباً إلى جنب مع أهمية الاعتماد على الآخرين ، موقف التواضع الذي لا يرفض المساعدة كنوع من التفضل والتنازل ، بل الشكر على المساعدة والإنسانية والشفقة الكامنة وراءها .

الهوية والشعور بالأمن :

بالنسبة لكثيرين منا ، فإن مسألة القيمة الذاتية أيضاً وراء ردود أفعالنا . إن الثقافة

المعاصرة تركز على الصورة طوال الوقت . وتوقعاتنا لحياة الرفاهية تجد دعماً من الصور الإعلامية للأجسام الجميلة ومصمم الأزياء . وجراحة التجميل صناعة مزدهرة ، وهى تساعدنا فى حل المشكلات المرتبطة بكبر حجم الأنف أو صغر الصدر بالنسبة للمرأة . وفى نهاية المطاف ، فنحن نقيس إحساسنا بالقيمة الذاتية عن طريق المثل السطحية التى يضعها المجتمع الاستهلاكى . فوزننا ، وسقوط شعرنا وصحتنا ولياقتنا البدنية ، ونظام حياتنا - كلها تصبح هامة لتحقيق رغبتنا للحصول على القبول .

ومن المدهش أن ترى كيف أصبحت تلك الأشياء متأصلة فينا كمسيحيين . ففى مثل هذه الثقافة نحتاج أن نجد هويتنا كأشخاص فى الله الذى صنعنا ويعرف كل تفاصيل الظروف التى مررنا بها . لقد استغرقت سنوات عديدة ، بعد سنوات الطفولة البريئة والساذجة ، حتى أستطيع أن أتعامل مع نظرات الناس وحملقتهم فىَّ ، والأصابع التى تشير إلىَّ من آن لآخر عندما دخلت حمام السباحة . لقد اعتدت على بعض هذه الأشياء خلال التغييرات الحتمية فى سن المراهقة ، ولكنى تعلمت أيضاً أن أتقبل إعاقتى وألا أنزعج فيما يتعلق بهويتى أو المكان الذى يمكننى أن أجد فيه الهوية والقبول .

عندما كنت أصغر سناً ، تنوعت أساليبى : أحياناً كنت أغضب حين يحملق الناس فىَّ ، وكنت أرد عليهم بأن أنظر إليهم شذراً نظرة طويلة ببرود . وفى أحيان أخرى لم أكن قادراً على تحمل أن أكون موضع فحص كهذا ، فكنت أنظر إلى الأرض أكبر مدة ممكنة . وحتى الآن أشعر بعدم الارتياح ، ولكنى قررت أن أفضل استجابة هى الابتسامة .

واليوم ، فقد تغيرت الثقافة الاجتماعية إلى حد ما . إنى أكتب هذه الكلمات فى مقهى بأكسفورد جالساً مقابل فتاة ذات شعر برتقالى لامع ، ولم يرمقها أحد بنظرة واحدة . يرجع هذا لمجتمع المقهى غير المعتاد فى الحى الذى يسكن فيه الطلبة من ناحية ، ومن الناحية الأخرى يرجع للتحول الثقافى الذى يتقبل الناس من جميع الأشكال والأحجام والألوان والعقائد . هناك جانب من مثل هذا التسامح لا نؤيده نحن المسيحيين ، ولكن هناك أيضاً جانب الترحيب ، الذي يتقبل الناس كما هم بما فيهم المعاقين . ولكن على مستوى أكثر عمقاً يظل الموضوع كما هو : ما هو مصدر إحساسى بهويتى ، وقيمتى الذاتية وإحساسى بالأمن ؟ ففى ثقافة شباب اليوم يظل هذا

الموضوع واحداً من الموضوعات الملحة . فهو يبرز فرصة للكرازة يمكن الإمساك بها من قبل أولئك الذين يعلمون أن حياتهم وشخصياتهم ومصيرهم مرتبطة بعلاقتهم بالرب يسوع الحى .

حينما أنا ضعيف :

هناك موضوعات لاهوتية أخرى ، ساعدت تجربتى البسيطة فى الإعاقة ، فى إلقاء الضوء عليها . الموضوع الأول التناقض الظاهرى فى حياة بولس بإحساسه بالقوة فى الضعف . ونجد تفسيره العظيم لهذا الموضوع فى رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس ، حيث يوضح أنه حيث أن قوة الله قد ظهرت عن طريق الضعف الواضح ليسوع المصلوب ، فهكذا قوة الله يمكن أن ترى أفضل ما يكون فى ضعف أولئك الذين يحملون رسالة الإنجيل هذه . وفى حالة بولس ، فقد ظهرت هذه القوة من خلال مطالب خدمته المسيحية التى كان من الواضح أنها أقرب إلى الموت . ولكن المبدأ كان معيناً لى إلى حد كبير فى التغلب على جوانب ضعفى الجسدى أيضاً. إن شهادة المسيحيين عبر العصور ، والتى يعبر عنها الآخرون ببلاغة فى هذا الكتاب ، أن ضعفنا الجسدى يشجعنا أن نكون أكثر اعتماداً على الرب من أى وقت مضى .وكما يعبر جيم باكر Jim Packer بحكمة فى كتابه « معرفة الله » عن ذلك فقال : « هذا هو السبب النهائى ، من وجهة نظرنا ، الذى يجعل الله يملأ حياتنا بالمتاعب والارتباكات من كل الأنواع ، لكى يضمن لنا أن نتعلم التمسك به بقوة » .

إن عجزى البسيط قد شجعنى على أن أكون أكثر تصميماً على البحث عن يد الله فى مواقف التجربة . وحيثما يبدو أن يده غير مرئية ، أو أن الحدث يبدو أنه بلا معنى ، فإنى أسعى لكى أتعلم أن أثق به تماماً . وعلى أساس الدليل المستمد من خبرة الماضى ، فهو يعرف ما يفعله . إن المأساة الحقيقية للمعاناة هى الفرصة الضائعة كما تقول مارى كريج (Mary Craig) فى كتابها المؤثر الذى عنوانه « البركات » : إننا يمكن أن نرى أنفسنا « كالضحايا الذين عوملوا بقسوة على يد قدر غاضب » ، أو ننتهز الفرصة لنتعلم أكثر عن أنفسنا وعن قدرة الله على الاستجابة لحاجتنا ، وكما عبرت مارى كريج عن ذلك بالقول : « نمسك بالألم من خناقه ونستغله لصالحنا » .

الآن وليس بعد :

ثانياً ، لقد توصلت إلى تقدير فكرة العهد الجديد عن « الآن وليس بعد » ، دعني أرجع ذلك إلى مشكلة الشفاء التي تختلف الآراء بشأنها . فقد ذهبت إلى أماكن عديدة كان يطلب فيها القادة من الناس أن يتقدموا إلى الصفوف الأمامية للصلاة لأجل الشفاء . وأتحدث باستمرار في المؤتمرات أو التجمعات المسيحية حيث يعرض الناس أن يضعوا عليَّ الأيادي ويصلوا لأجل شفائي . وإني أعرف أن ذلك يحدث بحسن نية حتى وإن كانت الوسيلة في بعض الأوقات تحتاج إلى شئ من الحساسية . وعلى مدى سنين طويلة ، منذ طفولتي وللآن ، صلى الناس لأجلي . وفي الواقع ، فإني كقائد في الاجتماعات الكنسية استجبت لتوسلات من أعضاء الكنائس الذين اتبعوا التعليمات الواضحة التي يقدمها الرسول يعقوب ، وصليت معهم لأجل شفائهم .

جميعنا نريد أن نؤكد قدرة الله على التدخل والشفاء ، ولا يصح لأحد منا أن يصبح متشائماً بشأن إمكانية الشفاء ، ولكني ألتقي بكثير من المسيحيين الذين كانوا هدفاً لأناس ذوي نية حسنة والذين يقولون إن إرادة الله أن يشفوا ، ولذلك فقد شجعوهم لكي يكون عندهم مزيد من الإيمان أو أن يعترفوا بخطاياهم . بالنسبة لهؤلاء الناس - القادة الذين يطلبون لهم الشفاء وضحاياهم سيئو الحظ - حاولت أن أقدم شرحاً بسيطاً للفكرة الكتابية « الآن وليس بعد ». ولتوضيح ذلك بصورة أخرى أقول : إن استعمال بولس لفكرة الباكورة مثل جيد لما يجب أن نتوقعه ، لقد ساعدني أن أكون أكثر استرخاء فيما يختص بموضوع الشفاء في حياتي الخاصة .

فإذا كان ملكوت الله هنا ، يجب أن نتوقع أن نرى آيات من ذلك الملكوت الآن ، يجب أن تكون هناك بعض الدلائل على عمله العجيب - ما يمكن أن ندعوه الباكورة . وفي كل أنحاء العالم ، وفي حياتنا الخاصة ، نرى الدليل . فنحن نسر بالذين تم شفاؤهم ، سواء عن طريق خدمات الأطباء (لأن ذلك جزء من نعمة الله الشافية) أو عن طريق ممارسة موهبة الشفاء داخل الجماعة المسيحية . ولكن هناك أيضاً « ليس بعد » فالاختبار الكامل لمعنى أن نعيش في ملكوت الله ، بكل أبعاده ، وسلامه ، واسترداده لكل شئ ، سوف يتم في المستقبل .

ولذا فمن الحكمة أن نتجنب كلا الخطأين : خطأ القول بأنه لا توجد ثمار على الشجرة ، أو خطأ القول إن الشجرة يجب أن تكون مليئة بالثمار الآن . والفكرة الكتابية عن الباكورة واقعية ،

فنحن نتوقع دليلاً على تدخل الله ، ونصلى فى اتضاع متكلين على حكمته وسلطانه . ولكننا لا يجب أن نتوقع أن يحل كل شئ الآن . وفى الحقيقة فإن نحاول أن نعيش وفقاً لهذه التوقعات يعنى أن نفتقد وصف بولس للإنجيل والحياة المسيحية ووعد الرب له ولنا « تكفيك نعمتى لأن قوتى فى الضعف تكمل » (٢كو ٩:١٢) .

وكما قال بول تورنير Paul Tournier بحق : « إننا ننظر دائماً لديانة سهلة ، يسهل فهمها ، ويسهل اتباعها ، ديانة بلا أسرار ، وبلا مشاكل عويصة ، وبلا عقبات ، ديانة تسمح لنا أن نهرب من حالتنا الإنسانية البائسة ، ديانة يوفر فيها اتصالنا بالله كل الصراعات ، ويزيل كل الشك ، وكل الألم ، وكل الشكوك ، وبالاختصار ، ديانة بلا صليب » .

يكفى اليوم شره :

وأخيراً ، ماذا عن المستقبل ؟ إنى لا أعنى الآن « ليس بعد » الخاصة بالسماء ، بل المستقبل القريب بين الآن وفيما بعد . لأن الكتاب المقدس يشجعنا على مواجهة المجهول بأمل وثقة . ويجب أن يكون هذا قراراً واعياً . تنبأ بعض الأطباء بحدوث متاعب صحية فى المستقبل . لقد وصلتنى مؤخراً رسالة بالفاكس من الرابطة البريطانية لشلل الأطفال تقول : « إن عدداً كبيراً من الذين نجوا من شلل الأطفال يجتازون فى مشكلات جسمية جديدة وغير متوقعة ، ولدينا معلومات أن كثيرين يقدمون لهم يد المساعدة لتجنب التلف الطويل الأمد لصحتهم » . من السخف أن أتجاهل التحذيرات الصحية ، ولكنى أعلم أنه من السخف أيضاً أن أقع فى فخ الخوف من المستقبل .

فحياتنا ، إن طالت أو قصرت ، وسواء كنا أصحاء أو معاقين ، فهى بين يدى الله . ويسوع كان محقاً حين حضَّنا ألا نفكر فى الغد . إنه لم يكن يوصينا بأن ندير حياتنا بطريقة غير مسئولة أو نتجنب اتخاذ الاحتياطات الوقائية الحكيمة ، ولكنه كان يشجعنا على الثقة بالخالق والفادى ، الذى يحبنا ولا يضع فى خطته لأجلنا سوى كل ما هو صالح ولخيرنا . ولهذا السبب فالموقف السليم هو بالتأكيد : دعنا نؤدى ما علينا من مهام اليوم ، فغداً يعمل الله .

{ ١١ }

(كاتى مور يسون)

« لا تأخذى ابنتك إلى البيت – فهى لن تعيش » ، هذا ما سمعته أمى عندما ولدتُ منذ ٤٥ سنة مـضت . كنت طفلة من ذوات « الدم الأزرق » لأنى ولدت بضـيق فى الأورطى ، الشـريان الرئيسى المؤدى من القلب إلى الرئتين . وقررت أمى ، وهى مسيحية وممرضة مدربة ، أن تأخذنى إلى البيت وتعـتنى بى طالما كنت على قـيد الحيـاة . وطوال كل هذه السنوات التى تلت لحظة ميلادى ، فإن حقيقة أنى لازلت على قيد الحياة لأروى هذه القصة هى شهادة لحب والدىَّ لى ، وللعناية الطبية الجيدة التى تلقيتها وهذا من فضل صلاح الله . فقد كان لله غرض فى حياتى .

وإذ أنظر إلى الخلف لسنوات طفولتى فإنه يبدو أنى كنت كثيرة التنقل من مكان إلى آخر ، مع أننى لم أكن أشعر بذلك فى حينه. أعـتقد أنه عندما يكون هناك خمسة أطفال فى عائلة كما كان الحال مع عـائلتنا – فقد كنت ثانى أصغر طفـل – فكل شئ تقريباً كان يبدو كما هو حتى مع تغيـر المكان الذى كنا نعـيش فيـه . فـقد انتـقلنا من زيمبابوى إلى كنت ، ومن كنت سـوسكس Sussex ثم العكس ، كل ذلك قبل أن أذهب إلى ويلز فى سن الثالثة عشرة .وقد اكتشفت أن الذهاب إلى ويلز صعب ، وبنوع خاص فقد كان علىَّ أن أتكيف مع مدرسة تأخذ بنظام التعليم المشترك . ولما كان والدىَّ يدركان مشكلتى ، فقد أقنعا السلطات التعليمية بالسماح لى بالعودة إلى مدرسة تونبروج للبنات لمدة سنتين لأمتحن هناك . فـقد أقمت فى السنة الأولى مع إحدى أخوات أبى وفى السنة الثانية كنت أشعر أنى أعيش فى فندق . كنت أشعر بالحنين إلى البيت من آن لآخر، ولكنى وجدت راحة عظمى فى حضور الكنيسة المحلية والصلاة وكتابة الخطابات الطويلة إلى أمى .

الدروس الأولى فى الإيمان المسيحى :

علمتنى أمى أولى الحقائق الروحية . وإنى أتذكر أنها كانت تضعنى على ركبتيها بعد أن أتشاجر مع أخواتى ، وتكلمنى عن يسوع والصليب . ولازلت أسمع كلماتها وهى تقول لى : « إن الصليب يعنى حذف الأنا » . وكبرت وأنا أعتقد أننى يجب أن أكون صالحة وأعمل بجد وألا أتسبب فى مشاجرة ونزاع ، وألا أكون أنانية . إن التدريس فى الكنيسة فى تلك المرحلة يمكن تلخيصه فى هذه الكلمات : «حاولى حفظ الوصايا العشر والعظة على الجبل وكونى بنتاً صالحة وسوف تذهبين إلى السماء » . ولم أسمع عن تعليم النعمة والحاجة للتوبة والإيمان بالرب يسوع المسيح سوى بعد سنوات تالية . ولكن حتى وأنا بنت صغيرة بعيدة عن المنزل ، فقد جعلنى الله أن أشعر بحاجة روحية داخل نفسى . وكانت خطاباتى إلى أمى تعكس هذه الحاجة ، وإنى واثقة أن أمى فهمت ما كنت أقصده .

فى عام ١٩٧٠ ذهبت إلى جلاسجو للدراسة لأحصل على درجة البكالوريوس فى إدارة الفنادق فى جامعة ستراتكلايد . وجاءت أمى إلىَّ لتساعدنى فى البحث عن مكان إقامة مناسب وقد ارتعبت أمى لحالة المنازل وآبار السلم أو « مداخلها » . وفى النهاية حجزت مكاناً فى منزل جمعية الشابات المسيحيات فى وسط جلاسجو ، وقضيت أربعة فصول دراسية سعيدة هناك . وبالرغم من الأحوال المعيشية المتواضعة للكثيرين ، إلا أننى وجدت أن شعب جلاسجو ودود ومضياف وأنى دائماً أشيد بهم .

وقد قادنى بحثى الروحى إلى الكنيسة المحلية لاسكتلندا للتعرف على أول اختبار لى عن المذهب المشيخى . وإذ كنت أحب كنيستى كثيراً فقد كان يمكننى الاستمرار هناك لو لم أتعرف على الكنيسة الأسقفية الاسكتلندية والتى كان نظام الخدمة فيها مألوفاً لى أكثر من غيرها من الكنائس . خرجت مبكرة فى صباح أحد أيام عيد القيامة وقد بهرنى ضوء الشمس الذى كان يسطع على عدد كبير من زهور النرجس التى كانت تزين المذبح . وبعد أن تأثرت تأثراً بالغاً ، بعد أن قبلت قصة القيامة التى كانت موضوع العظة أثناء الخدمة . علمت أنى قد وجدت بيتاً .

ومن ذلك الوقت فصاعداً كنت أحضر إلى الكنيسة بانتظام وتعرفت على راعى الكنيسة جيداً . كان يعقد اجتماعاً لدراسة الكتاب المقدس للشباب فى بيته مرة فى الأسبوع . وكنت أحب

الذهاب واستفدت كثيراً . كان هذا أول مكان تعلمت فيه التعرف على بركات الله واستجابته للصلاة . كان الراعى يسألنا كل أسبوع أن نذكر أمام الآخرين كيف باركنا الله خلال سبعة الأيام السابقة . فى المرة الأولى التى وجه فيها هذا السؤال كنا صامتين ، غير قادرين على التفكير فى أى شئ على الإطلاق . ولكننا سرعان ما تعلمنا أن نحتفظ ببركاتنا لنشرك معنا بقية المجموعة . « عددوا بركاتكم ، واذكروها واحدة واحدة ، عددوا بركاتكم ، وفكروا فيما عمله الله .. » . إن ذلك النداء أصبح حقيقة ملموسة فى حياتى .

الآفاق المتسعة :

كتب إلينا أخى الذى كان قد ذهب إلى استراليا ، يخبرنا أنه كان سوف يتزوج فى ديسمبر عام ١٩٧٦ . فى ذلك الوقت كنت أعمل فى قسم التسويق لشركة هندسية كبرى فى جلاسجو كسكرتيرة شخصية لمدير التخطيط المشترك . ولكننى كنت قريبة من أخى وأردت أن أذهب لحفل زواجه . كان يبدو أن هناك ثلاث عقبات ، كنت فى حاجة إلى تصريح عمل إذا كان لابد لى أن أقيم هناك بعض الوقت ، واحتجت إلى مبلغ من المال لدفع نفقات السفر ، ثم ماذا أفعل بشأن وظيفتى التى أتاحت لى أجراً مناسباً ؟ . صليت واستجاب الله ، أعطتنى السفارة الاسترالية تصريح عمل وأعطتنى أختى سلفة لدفع أجرة السفر وأعطانى رئيسى إجازة لمدة سنة فى شبابى ، أخذت أساوم الله . إذا ذهبت إلى استراليا لمدة عام ، سوف أكرس نفسى لخدمته لمدة عام . إنى أعرف أن الله قد غفر لى جرأتى الوقحة فى فترة الشباب .

تركت بريطانيا فى أغسطس وعدت الصيف التالى بعد مغامرتى الكبرى . وجدت لى الصديقات عملاً فى مجلس إدارة الإرسالية الوطنية الاسترالية ، لأعمل كمعاونة للرعاية فى بيت للفتيات المنتهكات للقانون . وبينما كنت فى البيت ، جاءتنى طالبة لتقدم لى المساعدة ، وقد استخدمها الله ليتحدث إلى قلبى . كانت جيل Gaille قد انتهت لتوها من كلية اللاهوت ، وكانت دارسة جيدة لكلمة الله . وكنا نتناقش مدداً طويلة تستمر حتى الساعات الأولى من الصباح ، وكانت تتخلل هذه المناقشات تلك الكلمات التى كنت أواجه بها دائماً « ولكن يا كاتى ، الكتاب المقدس يقول .. » .كم كنت أتمنى أن أعرف كتابى المقدس أفضل . وهكذا

زرعت فىَّ بذرة الجوع لكلمة الله .

والسنة التى كرستها للرب كانت وقتاً للتعلم عن أمانته استجابة للصلاة . اكتشفت سلطانه ، وتأكدت من ذلك ، واختبرت قوته ، وأيقنت استعداد الله أن يلبى كل احتياجاتى .

بعد أن عدت لاسكتلندا وجدت مقراً لإقامتى عبر الطريق من كنيسة أسقفية أخرى فى الجانب الجنوبى من جلاسجو . أخذتنى صديقاتى لأنضم إليهن . لقد كن مساعدات متطوعات فى مركز نهارى للرجال الذين بلا مأوى ، ويعيشون لوحدهم . وقد كنَّ يزرن أيضاً مركزاً لإعادة تأهيل مدمنى المسكرات ، مرة واحدة فى الأسبوع ، لمقابلة الرجال هناك طيلة عامين وكنت أذهب معهن ، وأتعلم شيئاً عن العمل الذى يؤدى باسم المسيح للمحتاجين ، وأكتشف بعض الدمار الذى يحدثه إدمان المسكرات بالجسم . كان الله يعد لى مستقبلاً ، ويعدنى لمواجهته .

تعاليم ومناظرات :

فى عام ١٩٧٨ ، قادنى الرب بعيداً عن عملى وأعدنى لدراسة طوال الوقت فى معهد التدريب للكتاب المقدس فى جلاسجو . كنت أحب دراسة الكتاب المقدس وتعاليمه ، التى كان فيها الشئ الكثير جديداً بالنسبة لى ، وكانت كل حقيقة جديدة مصدراً للإثارة والدهشة . ومع أنى حشدت تقريباً عمل سنتين فى سنة واحدة ، فقد كان لدىّ وقت أيضاً للاشتراك فى مناظرات حية فى الحجرة المشتركة ! حينما كنت فى كلية اللاهوت سلَّمت نفسى بالكامل للرب يسوع المسيح . كنت قد تعلمت وقتها عن الخطية والدينونة الإلهية وحاجتى للولادة ثانية من الروح القدس . لقد سر الله أن يسمع صلاتى لطلب الغفران بيسوع المسيح ولكى يقبلنى لكى أكون ضمن المؤمنين به .

عند استكمال دراستى ، عُينت نائبة المدير المسئول عن مركز إعادة التأهيل المسيحى لمدمنى المسكرات فى ريف اسكتلندا ، وفى خريف عام ١٩٧٩ ذهبت وأنا مقتنعة تماماً أنى كنت ذاهبة لأخدم الرب هناك . كنت أشعر بالإثارة لأجد أننا نقدم الشكر لله قبل كل وجبة ، وكنا نقرأ الكتاب المقدس مع الشرح الموجز والصلاة كل صباح ومساء مع النزلاء هناك ، ثم كنت آخذهم للكنيسة كل أحد . كنت شغوفة بنقل الأخبار السارة لدرجة أنى كنت أنتقد من لم يشاركنى فى

حماسي . وكان الرب يعلمني الاتضاع من وقت لآخر بمرور الأعوام . بدأت أواظب على حضور اجتماعات كنيسة اسكتلندا الحرة حيث كان للتبشير بكلمة الله دور كبير في تثبيت إيماني ، وكنت أشعر بالامتنان للعطف الذي لقيته من شعب الله .

عملت جاهدة وحاولت أن أحيا الحياة المسيحية كل يوم . وسكب الرب بركاته بطرق عديدة ، وخلال عملي ، أعطاني الرب الامتياز الذي أتاح لي أن أراه يعيد المرتدين إلى حظيرة الإيمان ، ويأتي بآخرين للإيمان بيسوع المسيح . وقد تحدث كثيرون من الزائرين عن المحبة والسلام الذي اختبروهما في البيت . ومع ذلك كانت هناك إحباطات ، وصراعات وحزن . كان ذلك شيئاً لا يمكن تجنبه ، فقد كنا أناساً نشعر بالاحتياج ونتعامل مع شعب محتاج .

كانت رابطة الدار المحلية تعقد اجتماعاً مرة في الأسبوع ، وكانت تتم دعوة النزلاء . وكان ذلك الاجتماع مصدر قوة وتشجيع للكثيرين وعوناً كبيراً لي حين كانت تتعقد الأمور . بدأ عملي يشغل كل وقتي ، وأنا أعمل ساعات طويلة زيادة على عدد ساعات العمل الرسمية المقررة ، متنكرة لاحتياجاتي ومضحية بنفسي في سبيل عملي . ولأني أصبحت متعبة وغاضبة ، قد شعرت بالوحدة ، وأني غير محبوبة ولا أجد التقدير اللازم . ففي هذا المكان أقوم برعاية الآخرين والعناية بشئونهم ، فمن يهتم بي أنا ؟ . فلا عجب أني أكرهت على الخروج من هذا المبنى بعد عشر سنوات ، بعد أن شعرت بالإنهاك لإعطائي كل وقتي ولإحساسي أني لم أكن أحصل إلا على الشئ القليل في المقابل .

السعادة ... ثم القلب المكسور :

خلال هذه المدة قابلت رجلاً أحببته . وتزوجنا في عام ١٩٨٨ ، بعد أن تعرف كل منا على الآخر على مدى سنتين . كان يبدو لي أنه فتى أحلامي وكنت مغتبطة وسعيدة به . فأخيراً وجدت شخصاً يحبني ويهتم بي .. ولكن لم يدم هذا طويلاً . كان زوجي قد عولج من إدمانه للمسكرات وفي طريقه للشفاء ، وكان يعاني من مشكلات نفسية لا أعرف عنها سوى النذر اليسير ، وقد انهار زواجنا سريعاً . شعرت بالحزن والخوف ولكن كلمة الله كانت موجهة إليّ بالقول : « رأيت طرقه وسأشفيه » (إش ٥٧ : ١٨) . أين كان الله من كل ذلك الذي يجري ؟ تحدثت إلى

الصديقات المسيحيات ولكن لم أجد أي عون . لم أستطع التعبير عن مشاعرى . وحيث إنى لم أكن أريد أن أتسبب فى حدوث زوبعة ، فربما اعتقدوا أنى قد تغلبت على المشكلة . لم يكن فى استطاعتى سوى التمسك بالوصية القائلة : « ليكن لكم إيمان بالله » (مر ١١:٢٢) وداومت على الصلاة .

كان والدى مريضاً لمدة طويلة قبل أن يموت فى عام ١٩٨٤ . وقد سبب لى ذلك المزيد من عدم الاستقرار . هل يجب علىَّ أن أعود إلى كنت لأكون مع والدتى ؟ فقد قطعت ساقاها وقتئذ بسبب خلل فى الدورة الدموية . وقد كانت تعيش بمفردها . ما الذى يجب علىَّ أن أعمله ؟

تجمع السحب الرعدية :

وفى نفس الوقت ، تعلمت أنى لا أستطيع الاستمرار فى العمل فى مركز إعادة التأهيل ، وأنى لم أكن قادرة دون مؤهل ، أن أحصل على ترقية بالرغم من سنوات الخبرة . ثم جاءت صدمة نهائية ملأتنى رعباً ، فقد قبض على زوجى واتهم بارتكاب جرم خطير . وقد أدين وحكم عليه بالسجن مدى الحياة مع الأشغال الشاقة لمدة ٦ سنوات . وذهلت ، ولكنى كنت لا أزال أحبه ، ووافقت أن أقف إلى جواره . لقد أخذت عهود الزواج على مجمل الجد ، وإذ تذكرت تعهداتى التى كانت تنص على أن أكون إلى جانبه « فى اليسر والعسر » ، صليت أن يعطينى الله نعمة لأفى بهذه العهود .

وهكذا انتقلت جنوباً لأبدأ دراسة للحصول على الماجستير فى العمل الاجتماعى، ولكى أرعى والدتى . لقد كنت أشعر بالصدمة وأن تحركاتى كانت تتم بغير إرادتى . بعد أن تركت بيتى وعملى وصديقاتى وكنيستى وثقافتى الاسكتلندية التى أحببتها ، بدأت أشعر بالوحدة . لم أكن أستطيع أن أخبر أى شخص عن تجاربى التى اجتزت فيها مؤخراً أو عن زوجى . حاولت التغلب على المشكلات والأحزان بقدر ما أستطيع . وفى الجامعة طلبت الذهاب إلى مستشارة ، وبعد عدة أسابيع أعطتنى إحداهن مدة لا تزيد عن ثلاثة أرباع الساعة . وبعد أن فتحت قلبى لأخبر بكل ما يعتمل فيه طُلب منى أن أنتظر فترة من الوقت لتحديد ميعاد آخر لوجود عجز فى المستشارات . وبعد سنوات أخرى ، فلا زلت أنتظر . لقد أصبحت مكتئبة وباكية ، وفى بعض

الأحيان كنت أغضب من الأخريات ، ولكنى كنت أبكى طالبة المعونة من الله . ما الخلل الذى كنت أعانى منه ، حتى إنى كمسيحية لم أكن ممتلئة بالفرح والسلام ؟ .

في ذلك الوقت قرأت عدة كتب عن المسيحيين الذين اجتازوا فى أوقات عصيبة وكانوا محاطين دائماً بأصدقاء محبين يتعهدونهم بالرعاية . كانت قصصهم تركز على الجوانب الحسنة التى كانت تحدث لهم ، والصلوات المستجابة ، لم يكن فيها شئ عن الصراع مع نوع الأحاسيس والمشكلات التى كنت أعانى منها . ربما لم أقرأ الكتب المناسبة لحالتى . شعرت بالوحدة وأنى لم أكن محبوبة . ومع أنى لم أستطع أن أجد معنى لأى شئ ، إلا أنى كنت مؤمنة بالله وكنت أشتاق للقرب منه . واصلت الصلاة وقراءة الكتاب المقدس كل يوم ، وكان الروح القدس يقدم لى دائماً كلمة الله حية لتمنحنى التشجيع والأمل .

كانت هناك بركات ، ولكن كل ما كنت أستطيع التركيز عليه هو احتياجى الشديد . وفى السنة الأخيرة لى فى الجامعة ، أحلت إلى مستشارة أخرى ، وقد كانت معاونة لى إلى حد ما . ومع إنى كنت أستطيع التحدث إليها إلا أن الجلسات لم تقدم لى فائدة كثيرة حتى أستطيع أن أجد معنى لأى شئ . لقد كان يبدو لى أنى مجرد كيان يتكون من الألم واليأس . ولكن برغم كل ذلك انتهيت من تقديم رسالتى وحصلت على درجتى العلمية . وما علىَّ إلا أن أقدم المجد لله لأجل ذلك ، لأنى بدونه ما كنت أستطيع أن أفعل شيئاً .

عند استكمال دراساتى ، حصلت على وظيفة كضابطة لمراقبة سلوك المدنيين قبل إطلاق سراحهم واستمتعت بالعمل بالرغم من مآخذى على بعض ما فيه . لم أكن أتحدث عن زوجى ولكنى كنت أزوره فى السجن ثلاث أو أربع مرات فى السنة . كان على بعد عدة مئات من الأميال من بيتى الجديد ولكن الله كان يدبر كل احتياجاتى . صادقت عائلة مسيحية بالقرب من السجن ، وقد رحبوا بى فى بيتهم ، وقدموا لى العون خلال زياراتى التى كانت تملأنى بالتوتر والإحساس بالصدمة . لقد أصبحوا أصدقاء أعزاء ، لقد أعطانى الله أخيراً أصدقاء كنت أستطيع أن أشاركهم مشاعرى ، وقد تفهمونى وأحبونى .

المعونة فى النهاية :

خلال تقييم للعمل أوضحت أنه كانت تنقصنى بعض المهارات ، وقد وافق رئيسى فى العمل برفق على أن يتيح لى تدريباً إضافياً على أساس التدرج من مرحلة إلى أخرى . وكانت هناك معلمة خصوصية تأتى لتدريبى ، وقد تأثرت كثيراً بها ، كانت قد أعطتنى بطاقتها فى وقت سابق ، وقررت أن أتصل بها لطلب مساعدتها . كان لقاؤنا الأول مفيداً ومؤشراً طيباً على الأوقات التى قضيناها سوياً بعد ذلك وأثبتت أنها ذات قيمة عظمى . وكم أشكر الله لأجلها .

كان رأيها أننى كنت أمتلك المهارات المطلوبة منى ، ولكن شيئاً ما كان يعوقنى عن استخدامها . وأخذنا نستكشف الأسباب المحتملة ، بداية من طفولتى . وقد ساعدنى ذلك فى فهم ما لم يكن واضحاً - ردود أفعالى ، وافتراضاتى وأنماطى الفكرية - ألا وهو ذاتى . وكلما ازداد فهمى ، استطعت أن أستخدمه لتحدى ما كان يوجهنى بالغريزة ، وأن أضبط إيقاع ذاتى فى الاتجاه الذى أريد أن أتحرك فيه . لقد كانت رحلة لاستكشاف النفس ، دهشت خلالها للألفة والمودة التى أحسست بها بسبب محبة الله وعنايته بى على مدى الأعوام . ولقد وجدت الحرية . فلم أعد مقيدة بالأثقال التى كنت أنوء بها منذ سنوات طفولتى : الكفاح حتى أكون مرضية أمام الله بعمل الصلاح ، وعدم إحداث ضجة ، ومساعدة الآخرين وهكذا . إن محبة الله غير مشروطة وغير متغيرة . إنى أعرف أنى لازلت محتاجة ، ولكن احتياجى لم يعد هوة مظلمة رطبة ، هناك شعاع من النور وحرارة تشيع دفء حضور الله حولى .

إن قصتى لم تنته بعد ، ومن وجهة نظر البشر فلا يبدو أن لها نهاية سعيدة . ولكن يسوع الذى أجرى المعجزات على الأرض ، يستطيع أن يجريها وهو جالس على عرشه فى السماء . إنه سوف يتمم إرادته السامية الكاملة ويتمجد بإجرائها ، « ونحن نعلم أن كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله الذين هم مدعوون حسب قصده » (رو ٨ : ٢٨) .

ولازلت أصارع الاكتئاب والوحدة فى بعض الأحيان- أحيانا للدرجة التى يبدو فيها الموت وسيلة للهروب - ولكن أوقاتى بين يدىّ أبى المحب . ولا أعرف المستقبل بخصوص علاقتى الزوجية . وضعف أمى المتزايد يثير مخاوفى ، ويبدو العالم شريراً عديم التقوى بصورة متزايدة . وفى العمل أقابل عملاء قد ضاعت آمالهم وتحطمت أحلامهم . وأشعر أحياناً أن الألم يعتصرنى.

رجاء للوقت الحاضر والأبدية :

« لا تأخذى بنتك إلى المنزل - إنها لن تعيش » . شكراً لله لأن والدىّ قد تجاهلا هذه النصيحة . إن مشكلة اضطراب القلب الذى كان واضحاً عندما ولدتُ قد عولج بإجراء جراحات لتصحيح الخلل فى عدد من المرات . وفى وقت قريب سوف تجرى لى جراحة أخرى ، بدونها لن أتمكن من أن أحيا حياة طبيعية . سوف أستودع نفسى بين يدى طبيب تخدير ماهر وجراح. وأستطيع أن أفعل ذلك دون انزعاج ، لأنه قد سبق لى من قبل أن سلمت نفسى لذلك الذى يستطيع أن يفعل أكثر مما نطلب أو نفتكر ، والذى سوف يحفظنى طوال الأبدية ، والذى وعد ألا يتركنى أو يتخلى عنى ، وأن يهدينى بأمان حتى بيتى الأبدى . فى إش ٤٣ : ١ يقول الرب : « لا تخف لأنى فديتك . دعوتك باسمك . أنت لى » ، وإنى أثق فيه .

بعد أسابيع قليلة من إكمال كاتى لهذا الفصل ، أجريت لها جراحة كبرى فى القلب أسفرت عن عدم استعادتها للوعى ، لقد ماتت بعد ستة أيام . وبالنسبة لكاتى فإن « والموت لا يكون فى مابعد ولا يكون حزن ولاصراخ ولا وجع فى ما بعد لأن الأمور الأولى قد مضت » (رؤ ٢١:٤).

{١٢}

جينى والاستير براون

يا إله النعمـــة وإلـــه المجـــد

اسكب قوتك على شعبـــــك

وقم الآن عمل كنيســـــــتك

حوّل براعمها إلى زهور مجيدة

امنحنا الحكمة وهبنا الشجاعة

لمواجهـــــة هـــــذه الساعـــة

كانت تلك كلمات الترنيمة الافتتاحية فى كنيسة جلينمويك باسكتلندا ، بالاتير ، فى يوم الأحد ٢٤ يناير عام ١٩٨٨ . وأثناء الترنيم تحول السطر الأخير من هذه الترنيمة إلى صلاة حيث شعرت بأنى لست على ما يرام ، فقد كنت أشعر بالخمول نتيجة لاحتقان فى الحلق وبرد أصبت بهما فى وقت مبكر من الشهر ، والآن فقد شعرت بدوار شديد ينتابنى ، وكنت أقف بصعوبة بالغة . وإذ كنت أجاهد لأستطيع التركيز أثناء الصلاة التى أعقبت الترنيمة ، فكل ما استطعت أن أفعله عند ختامها أن أقول بضع كلمات قليلة للاعتذار قبل أن أنهار جالساً على مقعدى .

بعد ساعة من الزمن ، على الرغم من استمرار الألم فى كتفى والوخز فى يدى اليسرى إلا أنى كنت أشعر بتحسن . وقد شعرت بالاطمئنان أيضاً بعد أن فحصنى طبيب العائلة . ومع ذلك ، فقد اعتقد أنه من الحكمة أن أفحص فحصاً شاملاً ، وبعد ذلك بوقت قصير ، سمح لى بالدخول إلى وحدة العناية بالقلـــب فـــى المستشفـــى الملكـــى بابردين . إن توصيلى بشاشة تليفزيونية

(المونيتور) وشعوري بالإجهاد والخوف لم يكونا يجعلانى أتصور أن هذا يحدث وأنا فى بداية السنة الثانية فقط من خدمتي .

وفى وقت لاحق بعد الظهر فى ذلك اليوم زارتنى جينى زوجتى . لقد نقلت لى رسائل من الأعضاء المهتمين بحالتى والذين كانوا حاضرين فى الكنيسة ذلك الصباح ، وأبلغتنى محبة ولدينا ، أندرو وكولن ، اللذين كانا بلاشك يتساءلان عما يحدث . إن حضور جينى وحديثها عن الولدين قد أثار شجونى مما جعل عينيّ تدمعان . وللتخفيف من وقع تلك اللحظة ، ذكرتنى بأول وآخر تجربة لى الخاصة بسرير فى مستشفى .

لقد كانت أمسية شديدة الحرارة رعدية في مستشفى القديس أندروز عندما زرت جينى عند ولادة أندرو . إن خليطاً قاتلاً من الحرارة والإثارة وألم زوجتى أصاب ركبتى بالوهن ، لدرجة أنى سررت أن أستريح دقائق قليلة على السرير المقابل لجينى ! إن الدموع والضحك ، من الانفعالات التي وهبها الله هى مزيج فعال ، خاصة عندما تضع الحياة فى طريقنا أشياء غير متوقعة الحدوث ، كما حدث في ذلك اليوم . صلّت جينى ، وقد عبرت عما أشعر به ليس لأول مرة ، ولكنها لم تكن قادرة على الإفصاح بكلمات . وعندما كانت فى طريقها لمغادرة المستشفى تلك الليلة اقتبست كلمات إشعياء ٤٠ : ٣١ : « منتظرو الرب يجدون قوة ، يرفعون أجنحة كالنسور ، يركضون ولا يتعبون ، يمشون ولا يعيون » .

وأشكر الله أن الفحوصات لم تظهر أى اضطرابات قلبية . وبعد يومين ، أخرجت من المصحة . والسبب المرجح للمشكلة كان فيروساً ، والعلاج أسبوعان للراحة ثم العودة للعمل .

المشكلة باقية :

خلال الأسابيع التالية ، لم يحدث الشفاء المتوقع ببساطة . وقد كنت أشعر دائماً أن هناك ما يمدنى بالطاقة مما كان يسعدنى ، ولكنى أدركت أن ما كنت أعتبره شيئاً مسلماً به ، قد قلّ إلى حد بعيد ، وعلى الرغم أن معظم الناس لم تكن تدرك ذلك ، فقد كنت مجهداً إلى درجة الانهيار. وفى يوم الجمعة السابق لأحد السعف ، سلّمت فى حوار بينى وبين نفسى أنه لابد من وجود علة تحتاج للفحص . حضرنا اجتماعاً مدرسياً أقيم فيه نصب تذكارى لبيتر ، أحد الأعضاء فى

مدرسة الأحد التابعة لكنيستنا والذى كان قد مات فى حادثة طريق ، موتاً مأساوياً فى الخريف السابق . وبعد ذلك وفى منزل والدىّ بيتر ، عندما شعرت بأنى لست على ما يرام ، فحصنى أحد الأطباء الموجودين ولكنه لم يجد علة . وفى مدة تقل عن ٢٤ ساعة من قبل ، لم يجد طبيبى الخاص فىّ مرضاً عندما شعرت بأنى لست على ما يرام أثناء قيامى بزيارة رعوية ، ودخلت المستشفى مرة أخرى للمراقبة والفحص .

شخَّص الاستشارى الحالة بأنها إجهاد نتيجة الإصابة بفيروس ، وقال إنها تُعرف أيضاً بمرض فى العضلات نتيجة لالتهاب فى العمود الفقرى أو المخ ، ويعرف باسم ME على سبيل الاختصار ، وأوضح صعوبة علاج المشكلة بجرعات تقليدية ، حيث إن نسبة نجاحها تختلف اختلافاً واسع المدى . وأن الراحة هى العلاج المقبول عادة ، وكان حذراً عندما سألته عن طول المدة اللازمة للتوقف عن العمل ، مع أنه اقترح أنها سوف تصل لعدة شهور على الأقل . والحقيقة أنها كانت حوالى سنتين قبل أن أصبح لائقاً لمباشرة جميع واجباتى ، وكان لابد من أشياء كثيرة فيما بين الحالتين « امنحنا الحكمة ، وهبنا الشجاعة لمواجهة هذه الساعة » ، ومع الإدراك المؤخر لطبيعة ما حدث ، لكنها كانت بالحقيقة هى الصلاة المثالية لى .

النظر للوراء :

كنت فى السنوات الأولى التى نشأت فيها فى كوت بريدج موفور الصحة وسعيداً . وكنت عضواً نشيطاً ومليئاً بالحماس فى فرقة الأولاد . وأصبح التعليم الذى تلقيته فى الدراسة الأسبوعية للكتاب المقدس والقدوة المسيحية الجذابة للقادة أساساً لنمو إيمانى . وأصبحت الكنيسة التى كانت مملة ذات يوم (لم يكن للمراهقين أى دور فيها) شيقة الآن ، وأصبح مسيح الأناجيل حقيقياً وحياً . كانت فرقتنا جزءاً من كنيسة اسكتلندا الحرة المحلية ، وقد دفعتنى خدمة القس كين كاميرون لقبول الحياة الجديدة بالمسيح وفى المسيح وأن أمارس تعليمه عملياً .

كنت أود أن أصبح لاعباً لكرة القدم عندما أترك المدرسة ، ولكن نقص المهارة الواضح جعلنى أصرف النظر عن متابعة هذه الهواية ، وأخذت أتدرب ، لكى أصبح مصمماً بدلاً من ذلك ، فى شركة هندسية فى جلاسجو . وعندما انتهيت من تدريبى فى عام ١٩٧٠ ، تزوجنا أنا وجينى .

كنت أنا وهى نشترك فى حب المسيح . نذهب إلى كنيسة اسكتلندا التى كانت بجوار منزلنا . وبعد ١٨ شهراً ، أتيحت لى الفرصة لأعيش وأعمل فى « إيستررروس » ، وقضينا فى تجهيز المنزل فى « ألنس » على شواطئ » « الكرومارتى فرث » .

شعرنا بالاستقرار بسرعة وشعرنا بالألفة فى الكنيسة الاسكتلندية فى « روسكين » وسرعان ما التحقت بفريق الأولاد ، وبعد مدة قصيرة فيما بعد بدأت القيام بالتدريس فى مدرسة الأحد . وانهمكت جينى أيضاً فى الأنشطة الكنسية ووصول أخو أندرو ، كولن . وبعد ذلك أصبحت شيخاً فى تلك الكنيسة التى كانت حياتنا شديدة الارتباط بها . شعرنا أن يد الله هى التى أتت بنا إلى الشمال ، وإرادته فقط هى التى يمكن أن تنقلنا منه . ولكن كنا « نعلم » بإحساس داخلى عميق أننا لن ننتقل إلى مكان آخر .. أو هكذا اعتقدنا .

فى ربيع عام ١٩٧٧ ، كنا قد خططنا لقضاء إجازة لمدة أسبوع فى لندن . وقبل بضع أيام قليلة من القيام بالإجازة ، جاءتنى مكالمة تليفونية من زميل سابق يريد أن يعرف إذا كنت أرغب فى الحصول على وظيفة فى شركة فى ابردين . كان مقر الشركة فى لندن ، ووافقت على الذهاب إلى هناك لعمل المقابلة الشخصية أثناء الإجازة ، ولكن لم يكن عندى أمل كبير فى الحصول على العمل . وما أن عدنا لبيتنا بعد الإجازة حتى وجدت خطاباً ينتظرنى يرشحنى للوظيفة . صلينا لأجل ذلك وكنا غير متأكدين من الحصول عليها بعد ، وكان علىَّ أن ألتحق ببرنامج دراسى فى الكمبيوتر فى مقر الشركة . كنا فى كل ليلة نناقش الموضوع عبر أسلاك الهاتف . كان الله هو الحاكم والمتحكم فى كل شئ ، وبعد عدة شهور ، انتقلنا إلى كنتور ، على بعد ١٢ ميلاً من ابردين حيث بدأت العمل .

ها أنذا أرسلنى :

بعد عامين ونصف حضرنا خدمة مسائية تحدث فيها طلبة اللاهوت عن دعوتهم للخدمة . وكنت أتساءل عما إذا كان يجب علىَّ أن أفكر بجدية فى العمل المسيحى . انتهت الخدمة ، ومع أنى وجدت الأحاديث شيقة ، لم أشعر بدعوة ملحة . وفى لحظات الهدوء التى أعقبت الخدمة ، قام عازف الأورج بعزف لحن ترنيمة يحبها كثيراً جميع أعضاء فريق الأولاد . كان مطلع الترنيمة

يقول : « هل ترغب في مرساة لنفسك وسط عواصف الحياة ؟ » . عند هذه اللحظة ، علمت فى أعماق نفسى أن الله كان يدعونى للخدمة المسيحية ، وفي خلال شهور قليلة وفى سن الثلاثين ، كنت أدرس للحصول على درجة البكالوريوس فى كلية اللاهوت فى جامعة إبردين . ربما ظن البعض أنى قد انفعلت انفعالاً زائداً بسبب نغمات لحن الترنيمة ، ولكنى مقتنع تماماً أن الله قد كلمنى .

فى سبتمبر عام ١٩٨٦ ، تمت رسامتى فى «بالاتير» وسرعان ما أحسست بالاستقرار والتأقلم مع جو الخدمة . كان أعضاء الكنيسة خير معاونين لى . وقد تم تدعيم مدرسة الأحد الناجحة ، بقادتها المكرسين ، بفريق من الشباب تقودهم جينى . كوَّنا صداقات جديدة وبدأنا نستقر فى وسط ذلك المجتمع . ولكن بالنسبة لأندرو وكولن فقد تعرضا لنقلة كبرى مع الانتقال لمدرسة جديدة فى نصف العام الدراسى وتركا أصدقاءهما الذين كانا على علاقة بهم مدة طويلة . بدأنا نقوم ببعض المشى فى الجبال وكنت ألعب كرة القدم مع الفريق المحلى أثناء الصيف . كان قضاء العائلة لإجازة تستمتع فيها بركوب القوارب فى نورفوك برودز هو أشد أوقات السنة متعة طوال العام . ومع اقتراب نهاية عام ١٩٨٧ كنت شاكراً لأجل الماضى ومتحمساً بشأن المستقبل ، ولدىّ خطط لكل من العائلة والكنيسة ، وهى الخطط التى ابتلعتها أحداث ٢٤ يناير حيث أن مرض آلام العضلات الـ (ME) كان له الكلمة العليا ، وسيطر على حياتنا .

لا يفيد تشخيص مرض ME كثيراً فى فهم طبيعة المرض ، ولكن بالنسبة لما كان يمكننى أن أعمله ، فقد سيطر على حياتى تماماً . كنت لائقاً من الناحية البدنية دائماً ، وكنت أرجع ذلك للمدة التى كنت أقضيها فى العوم يومياً . والآن بعد أن أصبحت قعيد الفراش عدة أسابيع ، كان الذهاب لدورة المياه لمسافة قصيرة هو كل ما أستطيع أن أقوم به . وحيث أننى كنت مرهقاً عقلياً وجسمياً ، فإن نظام حياتى قد تعطل عن العمل ، وما حدث خلال تلك الأسابيع لم يكن سوى شيئاً ضبابياً غير واضح . وعندما بدأت أخرج ببطء من فترة البيات الشتوى هذه حتى بدأت حقيقة ما حدث تغوص فى أعماق نفسى دون أن أستطيع الإمساك بها . وإذ بدأت أزداد فهماً للأمور ، اكتشفت المزيد عن مرض الـ (ME) عندما استمعت إلى برنامج فى إذاعة لندن BBC وشرح الكثير عن المرض وذكر قصصاً عن بعض من عانوا منه . فقد عانى منه مايكل

ماين عميد وستمنستر ، وبعد فترة من الزمن شفى منه تماماً . ومرض آخرون بهذا المرض بعد ذلك ولم يطرأ عليهم تحسن ملحوظ . وإذ كنت متفائلاً طوال حياتى ، فقد اعتقدت أنى سوف أتحسن سريعاً وأعود لمباشرة مهامى .

على أى حال ، فقد دعانى الله للخدمة ، ولا شك أن قصده أن أخدم . جاء الصيف ثم أتى الخريف ومضى وعندما بدأت عام ١٩٨٩ شعرت أن صحتى سوف تتحسن بالتأكيد . وقبل نهاية مارس ، رأيت أول بادرة إيجابية ، لذلك عندما مشيت مسافة تصل لحوالى خمسمائة ياردة بعد ظهر يوم جمعة ، ابتهجت ، ولكن سرعان ما انخفضت روحى المعنوية فى اليوم التالى ، عندما شعرت بالإجهاد تماماً ، ولم أغادر الفراش . لقد أدركت لمدة قصيرة معنى ذلك ، وأعقب ذلك أنى ذرفت دموع الإحباط واليأس . إن كلمات إشعياء النبى ، التى كانت عزائى مدة طويلة ، قد أصبحت الآن كالسيف المسلط فوق رقبتى ، وكانت صيحات التساؤل الداخلى فىَّ تدور هكذا : « ألم أنتظر طويلاً بما فيه الكفاية لتجديد قوتى ؟ » . وكانت الإجابة « كلا » .

كانت أول مرة أشعر فيها بالسرور مبنية على ما جـــاء فى مز (٤٦ : ١٠) « كفــوا (اهدأوا) واعلموا أنى أنا الله » . لقد كنت حبيساً بين أربعة جدران وهذا أعطانى وقتاً كافياً لأهدأ وأكشف وأعلم ما يفعله الله من خلال اختبارى . كنت قد قرأت أو سمعت فى مكان ما عبارة « حمام الشمس الروحى » ، وهذا ما حاولت أن أفعله . لقد فشلت مجهوداتى أن « أنهض وأمشى » ، وخذلتنى قوتى ، والآن أستريح فى قوة الله . كانت تأملاتى تنحصر فى آية من الكتاب المقدس أو سطر من ترنيمة مسيحية . إن الراحة الروحية تعنى عدم الحركة ، ولكن بالنسبة لى كانت وقتاً مكّننى فيه الله أن أقبل ما يحدث ، وأن أجد قوة أواجه بها المستقبل . لقد وعظت عن هذا الموضـــوع لآخرين ، والآن كنت أعـــظ نفسى ، كما يقـــول النبى إشعياء : « بالهدوء والطمأنينة تكون قوتكم » (إ ش ٣٠ : ١٥).

إن الذين يختبرون مرضاً طويل الأمد يصبحون نهباً للقلق والتفكير الدائم فى مشكلاتهم . ولم أشذّ عن هذه القاعدة . فلو سألنى أحد كيف تقضى وقتك لعرف أنى أقضى الساعات الطوال فى النوم ، أو الجلوس للتأمل أو السير لعدة أمتار قليلة . أعتقد أنى كنت مملاً من وقت لأخر ، فقد كانت كل وخزة ألم أو أى شعور ينتابنى موضوع تحليل داخلى عميق . كان كل شئ يدور

حولى ولم أكن أدرك مقدار التوتر الذى بدأ يتسلل إلى جينى ، حيث كانت قد تركت لوحدها لتدير شئون بيتنا ، وتواجه المشاكل الكنسية ، وتعمل لبعض الوقت كممرضة .

معا في المتاعب :

قبيل منتصف شهر يوليو ، ذهبت جينى إلى الطبيب . فقد أصيبت بحالة من عدم القدرة على التنفس بسهولة وعدم الارتياح فى حالتىّ اليقظة والرقاد ، مع آلام بالصدر ، فقد سبب ذلك إحساساً بالقلق عليها . تم تحديد ميعاد عند الطبيب وأصررت على قيادة السيارة للذهاب بها إلى ابردين .. وانطلقنا . بعد أن قطعت مسافة ميلين من الـ ٤٢ ميلاً التى تستغرقها الرحلة ، كان علىّ أن أوقف السيارة ، عندما أشعر أنى مجهد ، وبينما كنت أرقد آمناً فى الفراش ، ذهبت جينى إلى المدينة مع صديقتها ، وعند عودتها أصبحت ملازمة هى أيضاً للفراش .

جاء لزيارتنا أشخاص لم نكن قد رأيناهم لعدد من السنوات . فى ذلك الأحد طرق الباب ثلاثة زوار ، وفى كل حالة كان الفارق الزمنى بين آخر مرة رأينا الزائر فيها وذلك اليوم ١٨ سنة. كان كلانا فى الفراش عندما دق شخص ما جرس الباب وقت الغذاء . نهضت جينى من الفراش وفتحت الباب . كنت أستطيع أن أسمع من على بعد صوت عمتى . وبعد فترة مضت بعض الدقائق بعد أن سمعت صوت الباب وهو يغلق .نهضت لأرى سبب عدم رجوع جينى إلى الفراش ، لأكتشف أنها كانت راقدة فى أعلى السلم . استدعيت الطبيب ، وقبل مرور مدة طويلة من الزمن ، كانت جينى فى طريق عودتها إلى ابردين ، ولكن هذه المرة كانت فى عربة إسعاف ، تعانى مما اتضح أنه فيروس من نوع معين . وفى وقت لاحق ، فى تلك الأمسية . وعند ما حل الظلام ، فتحت الباب تلبية لشخص كان يطرق على الباب ، لأجد شخصاً غريباً يقف هناك .. أو هكذا كنت أعتقد . من ١٨ سنة قبل الآن كان أخف وزناً ، وكان حليق الذقن ، إلا أن ذقنه الآن كانت ذات شعر كثيف ، ومع ذلك فعندما تكلم ، تم التعرف على صوته فى الحال . كان ذلك الشخص هو كين كاميرون ، راعى الكنيسة التى كنت أذهب إليها وأنا بعد غلام . ولوجوده فى تلك المنطقة ليزور معسكراً تابعاً للكنيسة الحرة ، فقد قرر أن يزورنى ، من غير أن يعلم بالأحداث الجارية فى بيتنا ، ولقد رحبت بزيارته كثيراً .

وبعد بضع دقائق قليلة ، انضمت إلينا ميرى وهى إحدى البنات من رابطة الشباب التابعة لكين ، وقد كانت قائدة فى المعسكر الذى كان يزوره . ومنذ ذلك الحين ، أصبحت جينى تتندر بما حدث فى ذلك اليوم . فقد كانت هى فى المستشفى منذ ساعات قليلة فقط بينما أنا أستضيف فتاة كنت أعرفها منذ عدة سنوات مضت ، وقد وصلت حماتى لترعى البيت والعائلة ، ولم تكن هذه هى المرة الأولى التى تفعل فيها ذلك . وبعد أسبوع وصلت جينى ، للبيت .

تم شفائى مع أنه قد حدث ببطء . فبعد أن ظننت أن المرض سوف يدوم مدى الحياة ، باشرت مهام خدمتى بالكامل فى مارس عام ١٩٩٠ . ولكن بعد مضى عام ، وكنت قد ظننت أن أسوأ ما فى الأمر قد حدث ، أصبت ببرد ، ثم بدأ القوباء الذى جفف ينابيع قوتى . ورغم أنى أخذت قسطاً من الراحة طوال الصيف إلا أنى لم أستعيد صحتى ، ومع عدم وجود بوادر على الشفاء استقلت من الخدمة . لقد سمح لنا شعب الكنيسة أن نبقى فى منزل الراعى خلال الشتاء ، وقد صلينا حتى يهيئ لنا الله مكاناً للإقامة فيه فى المستقبل .

الانتقال إلى منزل جديد :

استجاب الله لصلاتنا بطريقة عجيبة عن طريق لقاء بالصدفة مع عضو فى كنيسة أخرى ، الذى كان قد سمع لتوه عن حالتنا ، ثم اتصل بنا تليفونياً لكى نلقى نظرة على بيت كبير ، وقد أعد أخى ، الذى كان يعمل رساماً ، البيت لإقامتنا . وفى مارس عام ١٩٩٢ ، انتقلنا إلى منزل الراعى الملحق بالكنيسة الرومانية الكاثوليكية ببلاتير ، والذى كان يشغله سابقاً قسيس الأبروشية . وإذ كنا قد انتقلنا من غرب اسكتلندا ، فإن انتقالنا قد أدهش بعض الذين من تلك المنطقة ، ولكننا كنا مبتهجين ، وشعرنا أن الله قد أظهر شفقته إلينا، وأعد لنا أسباب الراحة ودبر احتياجاتنا .

بقينا هناك مدة ١٦ شهراً حتى يصل كاهن جديد ، وأقمنا لمدة ستة أشهر فى منزل أحد الأصدقاء . دارت الحياة دورة كاملة ، ولكن أخيراً عرفنا طعم الاستقرار ، لقد عشنا فى سبعة منازل فى ثمانى سنوات وأصبح حزْم الأمتعة وفكها وقتاً للمتعة العائلية . فقد كان لكل علبة رقم ، وقد تم تخزين هذه المعلومة فى الكمبيوتر.ولكن أى علبة كان الكمبيوتر نفسه بداخلها ؟!.

واستجابة لصلواتنا الحارّة وجدنا أنفسنا نستقر مرة أخرى .

منذ العودة إلى « كنتور » لم أجد تقدماً ملحوظاً ، فعلى مدى السنين اكتشفت ما يمكنني وما لا يمكنني عمله ، وكيف يمكنني إدارة طاقتي . وأقرب شبه لذلك حساب بالبنك ، يمثل فيه النوم والراحة حساباً دائناً . فإذا حاولت كثيراً فإني أنفق أكثر مما عندي وعقوبة بقائي في موقف الحساب المدين أن أقضي أياماً في الفراش على إيقاع بطئ لأحاول أن أستجمع مخزوناً من الطاقة .

لقد سألني بعض الأصدقاء إن كنت أعود للخدمة لو تحسنت صحتي . وكان ردي المعتاد على ذلك فيما إذا كان أحد يرحب بي بعد كل هذا السجل الحافل بالأمراض . وقد يقول صديق ذكي ، وربما يكون محقاً فيما يذهب إليه ، إنني قد فشلت في الإجابة على السؤال ، ربما لأنني لا أريد حقاً أن أفكر في هذا الأمر ، لأني قد ادخرت وقتي كخادم في جلنمويك ، وقد كان مصدر سروري أن أخدم الرب بهذه الطاقة ، وكان يوماً حزيناً عندما اضطررت للاستقالة .

ما كتبته لا يعطي سوى الحقائق المجردة عن مرض قد قلب خطط إحدى العائلات رأساً على عقب . فمرض الـ (ME) كان يعني تغييرات عظمى في حياتنا ، مما جعل جيني تعمل طوال الوقت ، وقد قمت بدور مدير المنزل حيث اقتصر دوري على القيام بالأعباء المنزلية . ولما عرف أحدهم أن هذا اللقب لا يعجبني إطلاقاً ، اقترح أن أدعو نفسي مهندساً منزلياً . ولكن خلال كل هذه التغييرات ، فإن محبة الله قد حملتنا ، وقد اشتغل كثيرون بخدمة التشجيع .

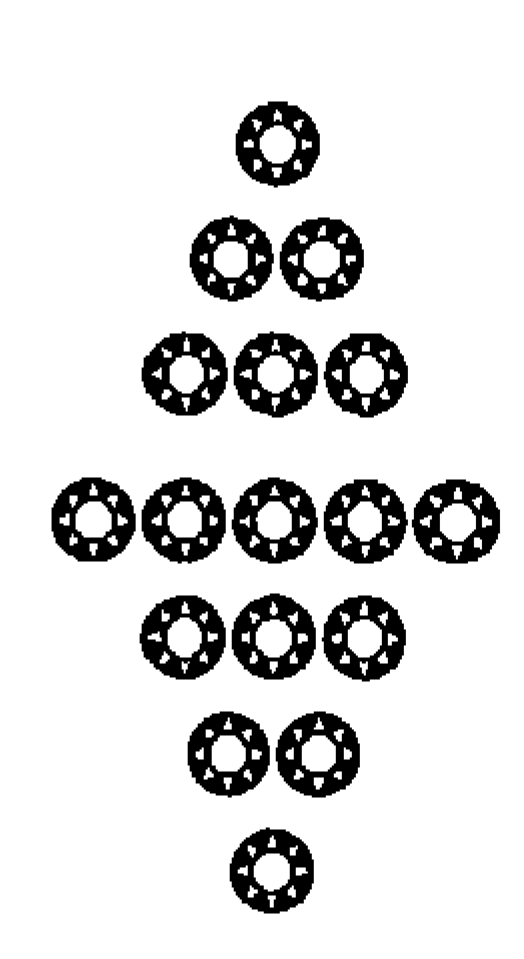
أنا له وهو لي :

في قراءتي الكتابية منذ عام أو نحـــوه كنت أقرأ بعض المذكرات ، وقرأت هذه الكلمات : « كل الرياح تدفعنا نحو مقاصد الله » . لقد وضعت الحياة في طريقنا ما فضّلنا أن نتجنبه . ولكن كبولس الذي صلى ثلاث مرات حتى ترفع عنه شوكته التي في الجسد ، وجدنا أن جواب الله أن نعمته في الضعف تكفي كل احتياجاتنا (٢ كو ١٢ : ٧) . كتب مايكل ماين ، عميد ويستمنستر يقول : « إن يسوع لم يقدم للناس صحة كاملة وموتاً بلا ألم . إن العقول البشرية هشة ويسهل إيقاع الأذى بها . إنه يقدم الحياة الأبدية ، علاقة جديدة مع الله من النوع الذي لا

تؤثر فيها أي أحداث ولا تستطيع أن تقضى عليها . وهذا النوع من الثقة والإيمان بالله ، مهما يحدث ، هو الشفاء الحقيقى للروح البشرية » .

إن عنوان كتابه « سنة فُقدت ثم وُجدت » ، وهذا يلخص كثيراً مما أشعر به بشأن اختبارى مع مرض الـ (ME) لقد وجدت قوة كنت أعظ بها . واختبرت السلام الذى وعظت به . واستمتعت بحضور الرب الذى كنت دائماً أقدمه لشعبى ، وقد وجدت السلام الذى لم أكن قد فهمته من قبل . بهذا المعنى ، فإن سنوات الـ (ME) قد أصبحت سنوات للنمو ، ذات جذور ضاربة فى أعماق التجربة ، وقد اختبرت محبة الله الأبدية والمحبة البشرية المتمثلة فى زوجتى العزيزة فى الصحة والمرض .

منذ مدة مضت ، أعطانى أحدهم بطاقة فيها صلاة صباحية . ولازالت موجودة بجوار سريرنا تشجعنى بالكلمات القائلة : « يارب ساعدنى لأتذكر أنه لا شئ سوف يحدث لى اليوم لا نستطيع أنت وأنا معاً أن نتعامل معه » .





الحياة تبتسم لبعض الناس فى بعض المواقف ، لكنها سرعان ما تغير من ابتسامتها إلى موقف عكسى تماماً ، فيتعرض الإنسان لمواقف صعبة ومؤلمة وحرجة منها مثلاً موت الأحباء أو خسارة فى العمل أو طلاق زوجين أو الاجتياز فى مرض يصعب شفاؤه .. الخ.

ولكن فى وسط هذا الظلام واليأس ماذا يحدث ... نجد يد تمتد إلينا بالمعونة ... ***هى يد الله*** .

هذا الكتاب يحتوى على اثنتى عشرة قصة تعبر عن اختبارات أصحابها ، وكيف أن ***يد الله*** امتدت إليهم بالمعونة .

١٠١٠٣٥٢٢

